إهداء

بسم الله أهدى هذا الكتاب إلى والدتى الحبيبة وروح والدى رحمة الله وأخوتى وزوجتى وأبنائى .

وإلى كل من له فضل علينا وكل من تعلمنا منه من المشايخ العماء والأساتذة الأجلاء .

وأخر دعوانا .. أن الحمد لله رب العالمين ...

المؤلف

القصة الكاملة

لسيدنا / آدم .. قابيل وهابيل

المؤلف

الشيخ / بكر محمد إبراهيم

الناشر

دار مصطفى للنشر والتوزيع

أسم الكتاب : القصة الكاملة
لسيدنا / آدم .. قابيل وهابيل
المؤلف الشيخ / بكر محمد إبراهيم

الناشر / دار مصطفى للنشر والتوزيع

ت / 010-5834163
3059544

الطبعة الأولى / 2006
تصميم الغلاف : م / ياسر فوده
رقم الإيداع / 2006/13281

الترقيم الدولى : ISBN- 977-583-27-4
جميع التجهيزات والإخراج بالقسم
الفنى لدار مصطفى للنشر والتوزيع
تحت إشراف / محمد جابر محمد



الحمد لله القائل ولقد كرمنا بنى آدم وحملنا ذريتهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير عن خلقنا تفضيلاً

وقال عز وجل :

﴿ وإذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا ﴾

وقال تعالى :

﴿ إن عرضنا الأمانة على السموات والأرض فأبين أن بحملنا وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا ﴾

وقال تعالى :

﴿ وإذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشرا من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين ﴾

والصلاة والسلام على رسوله محمد الصادق الوعد الأمين ، أشهد أن لا إله إلا الله رب العالمين وخالق السموات والأرضين .

وبعــــد ...

فهذا الكتاب يتضمن قصة آدم أبى البشر وأول إنسان وأول الأنبياء عليه الصلاة والسلام والأحاديث التى وردت فى خلقه وبعض الآيات التى تتحدث عن

قصة خلقه وأمر الملائكة له بالسجود وامتناع إبليس عن السجود له حق أو حسدا .

وتكريم الله تعالى لآدم بتعليمه الأسماء وسجود الملائكة له وإسكانه الجنة حتى أكل من الشجرة فاهبط إلى الأرض مع زوجه حواء ومعهما إبليس والجنة.

وقد خلق الله تعالى مائة وعشرين أمة بعضها فى البر وبعضها فى البحر هذه الأمم سكنت الأرض .

وقد خلق قبل آدم عليه السلام مخلوقات كثيرة منها العرش والكرسى واللوح المحفوظ والسموات والأرض والسن والجن والبن والملائكة نفع الله به وجعله فى ميزان حسناتنا وأعاذنا الله تعالى من الشيطان وحربه .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

المؤلـف

أخبار آدم قبل أن يخلق

أخبر تعالى أنه خاطب الملائكة قائلا لهم :

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ (٣٠) ﴾ [البقرة]

أعلم بما يريد أن يخلق من آدم وذريته الذين يخلف بعضهم بعضا كما قال : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٦٥) ﴾ [الأنعام] فأخبرهم بذلك على سبيل التنويه بخلق آدم وذريته كما يخبر بالأمر العظيم قبل كونه.

فقالت الملائكة سائلين على وجه الاستكشاف والاستعلام عن وجه الحكمة لا على وجه الاعتراض والتنقص لبنى آدم والحسد لهم كما قد يتوهم بعض جهلة المفسرين، قالوا :

﴿ ... أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ... ﴾ [البقرة: ٣٠].

قيل : علموا أن ذلك كائن بما رأوا ممن كان قبل آدم من الجن والبن قاله قتادة، وقال عبد الله بن عمر: كانت الجن قبل آدم بألفى عام فسفكوا الدماء فبعث الله إليهم جندا من الملائكة فطردوهم إلى جزائر البحور. وعن ابن عباس رضى الله عنهما نحوه، وعن الحسن: ألهموا ذلك ، وقيل : لما اطلعوا عليه من اللوح المحفوظ فقيل أطلعهم عليه هاروت وماروت عن ملك فوقهما يقال له السجل. رواه ابن أبى حاتم عن أبي جعفر الباقر. وقيل : لأنهم علموا أن الأرض لا يخلق منها إلا من يكون بهذه المثابة غالبا.

﴿ .. ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ... ﴾ أى نعبدك دائما لا يعصيك منا أحد، فإن كان المراد بخلق هؤلاء أن يعبدوك فهانحن لا نفتر ليلا ولا نهارا ﴿ .. قال إنى أعلم مالا تعلمون ... ﴾ : أى أعلم من المصلحة الراجحة في خلق هؤلاء مالا تعلمون: أى سيوجد منهم الأنبياء والمرسلون والصديقون والشهداء.

ثم بين لهم شرف آدم عليهم فى العلم فقال : ﴿ وعلم آدم الأسماء كلها .. ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما: هى هذه الأسماء التى يتعارف بها الناس: إنسان ودابة وأرض وسهل وبحر وجبل وجمل وحمار وأشباه ذلك من الأمم وغيرها. وفى رواية : علمه اسم القصعة والقدر حتى الفسوة والفسية. وقال مجاهد: علمه اسم كل دابة، وكل طير، وكل شيء، وكذا قال سعيد ابن جبير وقتادة وغير واحد. وقال الربيع: علمه أسماء الملائكة. وقال عبد الرحمن بن زيد: علمه أسماء الذوات وأفعالها مكبرها ومصغرها كما أشار إليه ابن عباس رضى الله عنهما.

وذكر البخارى هنا مارواه مسلم من طريق سعيد وهشام عن قتادة عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ قال: «يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا فيأتون آدم فيقولون: أنت أبو البشر خلقك الله بيده ، وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شىء» وذكر تمام الحديث.

﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٣١) ﴾ [البقرة]

قال الحسن البصرى: لما أراد الله خلق آدم قالت الملائكة لا يخلق ربنا خلقا إلا كنا أعلم منه فابتلوا بهذه وذلك قوله: ﴿ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾، وقيل غير ذلك.

﴿ قالوا سبحنك لاعلم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ﴾ أى سبحانك أن يحيط أحد بشىء من علمك من غير تعليمك كما قال : ﴿ ولايحيطون بشىء من علمه ، إلا بما شاء ﴾ .

﴿ قال يآدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إنى أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ماتبدون وما كنتم تكتمون ﴾ أى أعلم السر كما أعلم العلانية، وقيل : إن المراد بقوله ﴿ وأعلم ماتبدون ﴾ : ماقالوا ﴿ أتجعل فيها من يفسد فيها ﴾ وبقوله : ﴿ وما كنتم تكتمون ﴾ : المراد بهذا الكلام إبليس حين أسر الكبر والتخيرة على آدم عليه السلام قاله سعيد بن جبير، ومجاهد والسدى، والضحاك، والثورى واختاره ابن جرير.

وقال أبو العالية، والربيع ، والحسن ، وقتادة : ﴿ وما كنتم تكتمون ﴾ قولهم : لن يخلق ربنا خلقا إلا كنا أعلم منه وأكرم عليه منه.

قوله: ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر . . . ﴾ هذا إكرام عظيم من الله تعالى لآدم حين خلقه ونفخ فيه من روحه كما قال : ﴿ فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين ﴾ فهذه أربع تشريفات: خلقه له بيده الكريمة، ونفخ فيه من روحه، وأمر الملائكة بالسجود له، وتعليمه أسماء الأشياء، ولهذا قال له موسى الكليم حين اجتمع هو وإياه فى الملأ الأعلى، وتناظرا : (أنت آدم أبو البشر الذي خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شىء)، وهكذا يقول أهل المحشر يوم القيامة كما تقدم .

وقال في الآية الأخرى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ (١١) قَالَ

مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ (١٢) ﴾. [الأعراف].

قال الحسن البصرى : قاس إبليس وهو أول من قاس، وقال محمد بن سيرين : أول من قاس إبليس، وماعبدت الشمس ولا القمر إلا بالمقاييس، رواهما ابن جرير، ومعنى هذا أنه نظر نفسه بطريق المقايسة بينه وبين آدم فرأى نفسه أشرف من ادم فامتنع من السجود له مع وجود الأمر له، ولسائر الملائكة بالسجود.

والقياس إذا كان مقابلا بالنص كان فاسد الاعتبار، ثم هو فاسد فى نفسه فإن الطين أنفع وخير من النار، فإن الطين فيه الرزانة والحلم والأناة والنمو، والنار فيها الطيش والخفة، والسرعة والإحراق.

ثم آدم شرفه الله بخلقه له بيده، ونفخه فيه من روحه، ولهذا أمر الملائكة بالسجود له، كما قال :

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (٢٨) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٢٩) فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٣٠) إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣١) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلاَّ تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣٢) قَالَ لَمْ أَكُن لأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (٣٣) قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٣٤) وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ (٣٥) ﴾. [سورة الحجر].

استحق هذا من الله تعالى، لأنه استلزم تنقصه لآدم وازدراءه له ، وترفعه عليه ومخالفة الأمر الإلهى ومعاندة الحق في النص على آدم على التعيين، وشرع فى الاعتذار بما لايجدى شيئا، وكان اعتذاره أشد من ذنبه كما قال تعالى فى

سورة الإسراء :

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا (٦١) قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَٰذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا (٦٢) قَالَ اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَّوْفُورًا (٦٣) وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا (٦٤) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا (٦٥) ﴾.

وقال فى سورة الكهف :

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا (٥٠) ﴾.

أى خرج عن طاعة الله عمدا وعنادا عن امتثال أمره، وما ذاك إلا أنه خانه طبعه ومادته الخبيثة أحوج ماكان إليها، فإنه مخلوق من نار كما قال ، وكما جاء فى صحيح مسلم عن عائشة عن رسول الله ﷺ قال : «خلق الملائكة من نور، وخلقت الجان من نار، وخلق آدم من مما وصف لكم».

قصة إبليس مع آدم

وقال الحسن البصرى : لم يكن إبليس من الملائكة طرفة عين قط. وقال شهر بن حوشب: كان من الجن فلما أفسدوا فى الأرض بعث الله إليهم جندا من الملائكة فقتلوهم وأجلوهم إلى جزائر البحار، وكان إبليس ممن أسر فأخذوه معهم إلى السماء فكان هناك، فلما أمرت الملائكة بالسجود امتنع إبليس منه. وقال ابن مسعود وابن عباس وجماعة من الصحابة، وسعيد بن المسيب وآخرون: كان إبليس رئيس الملائكة بالسماء الدنيا، قال ابن عباس، وكان اسمه عزازيل، وفى رواية عن الحارث. قال : النقاش وكنيته (أبو كردوس)، قال ابن عباس : وكان من حى من الملائكة يقال لهم الجن وكانوا خزان الجنان، وكان من أشرفهم وأكثرهم علما وعباده، وكان من أولى الأجنحة الأربعة، فمسخه الله شيطانا رجيما.

وقال فى سورة (ص):

﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٧٢) فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٧٣) إِلاَّ إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٧٤) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ (٧٥) قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ (٧٦) قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٧٧) وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ (٧٨) قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٧٩) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ (٨٠) إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (٨١) قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٨٣) قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ (٨٤) لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٥)﴾.

وقال فى سورة الأعراف :

﴿ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (١٧) ﴾ : أى بسبب إغوائك إياى لأقعدن لهم كل مرصد، ولآتينهم من كل جهة منهم، فالسعيد من خالفه، والشقى من اتبعه.

وقال الإمام أحمد :حدثنا هاشم بن القاسم، حدثنا أبو عقيل (هو عبد الله بن عقيل الثقفى) حدثنا موسى بن المسيب عن سالم بن أبى الجعد عن سبرة بن أبى الفاكه قال : سمعت رسول الله ﷺ قال : «إن الشيطان يقعد لابن آدم بأطرقه» وذكر الحديث .

وقد اختلف المفسرون فى الملائكة المأمورين بالسجود لآدم، أهم جميع الملائكة كما دل عليه عموم الآيات وهو قول الجمهور، أو المراد بهم ملائكة الأرض كما رواه ابن جرير من طريق الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما ، وفيه انقطاع، وفى السياق نكارة، وإن كان بعض المتأخرين قد رجحه؟ ولكن الأظهر من السياقات الأول، ويدل عليه الحديث: «وأسجد له ملائكته» وهذا عموم أيضا والله أعلم.

وقوله تعالى لإبليس : ﴿ اهبط منها ﴾ و ﴿ أخرج منها ﴾ دليل على أنه كان فى السماء ، فأمر بالهبوط منها ، والخروج من المنزلة والمكانة التى كان قد نالها بعبادته وتشبهه بالملائكة فى الطاعة والعبادة، ثم سلب ذلك بكبره وحسده ومخالفته لربه، فأهبط إلى الأرض مذءوما مدحورا .

وأمر الله آدم عليه السلام أن يسكن هو وزوجته الجنة، فقال الله فى سورة البقرة :

﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (٣٥) ﴾ .

وقال تعالى فى الأعراف :

﴿ قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ (١٨) وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (١٩) ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ (١١٦) فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ (١١٧) إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَىٰ (١١٨) وَأَنَّكَ لا تَظْمَأُ فِيهَا وَلا تَضْحَىٰ (١١٩) ﴾ [سورة طه].

أخبار حواء

وسياق هذه الآيات يقتضى أن خلق حواء كان قبل دخول آدم الجنة، لقوله: ﴿ وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ... ﴾ وهذا قد صرح به إسحاق بن بشار، وهو ظاهر هذه الآيات، ولكن حكى السدى عن أبى مالك عن ابن عباس، وعن مرة عن ابن مسعود، وعن ناس من الصحابة أنهم قالوا: أخرج إبليس من الجنة، وأسكن آدم الجنة، فكان يمشى فيها وحشيا ليس له فيها زوج يسكن إليها، فنام نومة فاستيقظ وعند رأسه امرأة قاعدة، خلقها الله من ضلعه، فسألها من أنت ؟ قالت : امرأة، قال : ولم خلقت، قالت : لتسكن إلى، فقالت له الملائكة ينظرون مابلغ من علمه: ما اسمها يا آدم؟ قال حواء. قالوا: ولم كانت حواء ؟ قال: لأنها خلقت من شىء حى.

وذكر محمد بن إسحاق عن ابن عباس: أنها خلقت من ضلعه الأقصر الأيسر وهو نائم ولئم مكانه لحما، ومصداق هذا فى قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً (١) ﴾ [النساء].

وفى قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحاً لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (١٨٩) ﴾ [الأعراف].

وفى الصحيحين من حديث زائدة عن ميسرة الأشجعى عن أبى حازم عن أبى هريرة عن النبى ﷺ أنه قال : «استوصوا بالنساء خيرا فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج شىء فى الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيرا» لفظ البخارى.

ماهى الشجرة

وقد اختلف المفسرون فى قوله تعالى : ﴿ ولا تقربا هذه الشجرة ﴾ فقيل : هى الكرم، وروى عن ابن عباس وسعيد بن جبير والشعبى وجعدة بن هبيرة، ومحمد بن قيس والسدى فى رواية عن ابن عباس، وابن مسعود، وناس من الصحابة ، قال :وتزعم اليهود أنها الحنطة، وهذا مروى عن ابن عباس والحسن البصرى، ووهب بن منه، وعطية العوفى، وأبي مالك ، ومحارب ابن دثار، وعبد الرحمن بن أبى ليلى ، قال وهب: والحبة منه ألين من الزبد، وأحلى من العسل.

وقال الثورى عن أبى الحصين عن أبى مالك : ﴿ ولا تقربا هذه الشجرة ﴾ : هى النخلة ، وقال ابن جريج عن مجاهد: هى التينة، وبه قال

قتادة. وقال أبو العالية: كانت شجرة من أكل منها أحدث، ولا ينبغى فى الجنة حدث.

وهذا الخلاف قريب، وقد أبهم الله ذكرها وتعيينها، ولو كان في ذكرها مصلحة تعود إلينا لعينها لنا كما فى غيرها من المحال التى تُبهم فى القرآن.

* إنما الخلاف الذى ذكروه فى أن هذه الجنة التى دخلها آدم هل هى فى السماء أو فى الأرض هو الخلاف الذى ينبغى فصله والخروج منه.

والجمهور على أنها هى التى فى السماء وهى جنة المأوى لظاهر الآيات والأحاديث كقوله تعالى: ﴿وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة﴾ والألف واللام ليست للعموم ولا لمعهود لفظى، وإنما تعود على معهود ذهنى وهو المستقر شرعا من جنة المأوى، وكقول موسى عليه السلام لآدم عليه السلام: (علام أخرجتنا ونفسك من الجنة) الحديث.

وروى مسلم فى صحيحه من حديث أبي مالك الأشجعى، وأسمع سعد ابن طارق عن أبى حازم سلمة بن دينار عن أبى هريرة، وأبو مالك عن ربعى عن حذيفة قالا: قال رسول الله ﷺ: «يجمع الله الناس فيقوم المؤمنون حين تزلف لهم الجنة فيأتون آدم فيقولون يا أبانا استفتح لنا الجنة، فيقول: وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم» وذكر الحديث بطوله، وهذا فيه قوة جيدة ظاهرة فى الدلالة على أنها جنة المأوى وليست تخلو عن نظر.

الجنة التى سكنها آدم

وقال آخرون: بل الجنة التى أسكنها آدم لم تكن جنة الخلد، لأنه كلف فيها أن لا يأكل من تلك الشجرة، ولأنه نام فيها وأخرج منها ودخل عليه إبليس فيها، وهذا مما ينافى أن تكون جنة المأوى، وهذا القول محكى عن أبى ابن

كعب ، وعبد الله بن عباس، ووهب بن منبه، وسفيان بن عيينة، واختاره ابن قتيبة في المعارف، والقاضي منذر بن سعيد البلوطي في تفسيره، وأفرد له مصنفا على حدة، وحكاه عن أبي حنيفة الإمام وأصحابه رحمهم الله، ونقله أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي بن خطيب الري في تفسيره عن أبي القاسم البلخي، وأبي مسلم الأصبهاني، ونقله القرطبي في تفسيره عن المعتزلة والقدرية، وهذا القول هو نص التوراة التي بأيدي أهل الكتاب.

وممن حكى الخلاف في هذه المسألة: أبو محمد بن حزم في الملل والنحل، وأبو محمد بن عطية في تفسيره، وأبو عيسى الرماني في تفسيره، وحكى عن الجمهور الأول، وأبو القاسم الراغب والقاضي الماوردي في تفسيره فقال: (واختلف في الجنة التي أسكناها- يعني آدم وحواء- على قولين : أحدهما: أنها جنة الخلد، والثاني : جنة أعدها الله لهما وجعلها دار ابتلاء وليست جنة الخلد التي جعلها دار جزاء، ومن قال بهذا اختلفوا على قولين:

أحدهما: أنها في السماء، لأنه أهبطهما منها، وهذا قول الحسن. والثاني : أنها في الأرض، لأنه امتحنهما فيها بالنهي عن الشجرة التي نهيا عنها دون غيرها من الثمار.

وهكذا قول ابن يحيي : «وكان ذلك بعد أن أمر إبليس بالسجود لآدم والله أعلم بالصواب من ذلك» هذا كلامه.

فقد تضمن كلامه حكاية أقوال ثلاثة، وهو متوقف في المسألة.

ولقد حكى أبو عبد الله الرازي في تفسيره في هذه المسألة أربعة أقوال، هذه الثلاثة التي أوردها الماوردي، ورابعها الوقف، وحكى القول بأنها في السماء وليست جنة المأوى عن أبي علي الجبائي، وقد أورد أصحاب القول الثاني سؤالا

يحتاج إلى جواب، فقالوا: لاشك أن الله سبحانه وتعالى طرد إبليس حين امتنع عن السجود عن الحضرة الإلهية، وأمره بالخروج عنها والهبوط منها، وهذا الأمر ليس من الأوامر الشرعية بحيث يمكن مخالفته، وإنما هو أمر قدرى لا يخالف ولا يمانع، ولهذا قال : ﴿ أخرج منها مذءوما مدحورا ﴾ وقال: ﴿ فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها ﴾، وقال : ﴿ اخرج منها فإنك رجيم ﴾، والضمير عائد إلى الجنة أو السماء ، أو المنزلة، وأيا ما كان فمعلوم أنه ليس له الكون قدرا فى المكان الذى طرد منه وأبعد منه لا على سبيل الاستقرار ولا على سبيل المرور والاجتياز.

قالوا: ومعلوم من ظاهر سياق القرآن أنه وسوس لآدم وخاطبه بقوله له : ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ (١٢٠) ﴾ [طه]

وبقوله : ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ (٢٠) وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ (٢١) فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٢٢) قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣) ﴾ [الأعراف] ، وهذا ظاهر فى اجتماعه معهما في جنتهما، وقد أجيبوا عن هذا: بأنه لايمتنع أن يجتمع بهما فى الجنة على سبيل المرور فيها لا على سبيل الاستقرار بها، أو أنه وسوس لهما وهو على باب الجنة أو من تحت السماء، وفى الثلاثة نظر. والله أعلم.

ومما احتج به أصحاب هذه المقالة : مارواه عبد الله بن الإمام أحمد فى الزيادات عن هدبة بن خالد عن حماد بن سلمة عن حميد عن الحسن البصرى عن يحيى عن أبى بن كعب قال : (إن آدم لما احتضر اشتهى قطفا من عنب الجنة، فانطلق بنوه ليطلبوه له ، فلقيتهم الملائكة فقالوا: أين تريدون يا بنى آدم؟ فقالوا: إن أبانا اشتهى قطفا من عنب الجنة، فقالوا لهم : ارجعوا فقد كفيتموه، فانتهوا إليه فقبضوا روحه وغسلوه وحنطوه وكفنوه، وصلي عليه جبريل ومن خلفه من الملائكة ودفنوه. قالوا: هذه سنتكم فى موتاكم).. قالوا فلولا أنه كان الوصول إلى الجنة التى كان فيها آدم التى اشتهى منها القطف ممكنا لما ذهبوا يطلبون ذلك فدل على أنها فى الأرض لا فى السماء والله تعالى أعلم.

قالوا والاحتجاج بأن الألف واللام فى قوله ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة لم يتقدم عهد يعود عليه فهو المعهود الذهنى مسلم ولكن هو مادل عليه سياق الكلام، فإن آدم خلق من الأرض، ولم ينقل أنه رفع إلى السماء وخلق ليكون في الأرض، وبهذا أعلم الرب الملائكة حيث قال : ﴿إنى جاعل فى الأرض خليفة﴾ ولم يتقدم معهود لفظى وإنما هى للمعهود الذهنى الذى دل عليه السياق وهو البستان.

معنى الهبوط

قالوا وذكر الهبوط لايدل على النزول من السماء قال تعالى :

﴿ قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤٨) ﴾ [سورة هود] ، وإنما كانت السفينة حين استقرت على الجودى ونضب الماء عن وجه الأرض، أمر أن يهبط إليها هو ومن معه مباركا عليه وعليهم. وقال الله تعال : ﴿ .. اهبطوا مصرا فإن

لكم ماسألتم . . . ﴾، وقال تعالى : ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٧٤) ﴾ [سورة البقرة]. وفى الأحاديث واللغة من هذا كثير.

قالوا ولا مانع بل هو الواقع، أن الجنة التى أسكنها آدم كانت مرتفعة عن سائر بقاع الأرض ذات أشجار وثمار وظلال ونعيم ونضرة وسرور كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَىٰ (١١٨) ﴾ [سورة طه] أى لايذل باطنك بالجوع ولا ظاهرك بالعرى ﴿ وَأَنَّكَ لا تَظْمَأُ فِيهَا وَلا تَضْحَىٰ (١١٩) ﴾ [سورة طه] أى لايمس باطنك حر الظمأ، ولا ظهرك حر الشمس، ولهذا قرن بين هذا وهذا، وبين هذا وهذا لما بينهما من الملاءمة. فلما كان منه ماكان من أكله من الشجرة التى نهى عنها أهبط إلى أرض الشقاء والتعب والنصب والكدر والسعى والنكد والابتلاء والامتحان واختلاف السكان دينا وأخلاقا وأعمالا وقصودا وإرادات وأقوالا وأفعالا كما قال تعالى : ﴿ ... وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ (٣٦) ﴾ [سورة البقرة]، ولا يلزم من هذا أنهم كانوا فى السماء كما قال تعالى : ﴿ وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا (١٠٤) ﴾ [سورة الإسراء] ومعلوم أنهم كانوا فيها لم يكونوا فى السماء.

قالوا وليس هذا القول مفرعا علي قول من ينكر وجود الجنة والنار اليوم، ولاتلازم بينهما، فكل من حكى عنه هذا القول من السلف وأكثر الخلف ممن يثبت وجود الجنة والنار اليوم كما دلت عليه الآيات والأحاديث الصحاح... والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب.

وسوسة الشيطان

وقوله سبحانه وتعالى :

﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ (٣٦) ﴾ [البقرة]

أى عن الجنة ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ أى من النعيم والنضرة والسرور إلي دار التعب والكد والنكد وذلك بما وسوس لهما وزينه في صدورهما، كما قال سبحانه وتعالى :

﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ (٢٠) ﴾ [سورة الأعراف] يقول مانهاكما عن الأكل من هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين أى ولو أكلتما منها لصرتما كذلك ﴿وقاسمهما﴾ أى حلف لهما على ذلك ﴿إنى لكما لمن الناصحين﴾ ، كما قال فى الآية الأخرى:

﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لاَّ يَبْلَىٰ (١٢٠) ﴾ [سورة طه] أى أدلك على الشجرة التى إذا أكلت منها حصل لك الخلد فيما أنت فيه من النعيم، واستمررت فى ملك لا يبيد ولا ينقضى ، وهذا من التغرير والتزوير والإخبار بغير الواقع.

والمقصود أن قوله شجرة الخلد التى إذا أكلت منها خلدت قد تكون هى الشجرة التى قال عنها الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدى حدثنا شعبة عن أبى الضحاك سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله ﷺ : «إن فى الجنة

شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها شجرة الخلد» وكذا رواه أيضا عن غندر، وحجاج عن شعبة ورواه أبو داود الطيالسى في مسنده عن شعبة أيضا به ، قال غندر قلت لشعبة: هى شجرة الخلد قال ليس فيها هى ، تفرد به الإمام أحمد. وقوله :

﴿ فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٢٢) ﴾ [سورة الأعراف].

كما قال فى: ﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ (١٢١) ﴾ [سورة طه].

وكانت حواء أكلت من الشجرة قبل آدم وهى التى حرضته على أكلها والله أعلم.

وعليه يحمل الحديث الذى رواه البخارى حدثنا بشر بن محمد حدثنا عبد الله أنبأنا معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة عن النبى ﷺ نحوه «لولا بنو إسرائيل لم يخنز اللحم، ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها» تفرد به من هذا الوجه وأخرجاه فى الصحيحين من حديث عبد الرزاق عن معمر عن همام عن أبى هريرة به ورواه أحمد ومسلم عن هارون بن معروف عن أبى وهب عن عمرو بن الحارث عن أبى يونس عن أبى هريرة به.

وفى كتاب التوراة التى بين أيدى أهل الكتاب أن الذى دل حواء على الأكل من الشجرة هى الحية، وكانت من أحسن الأشكال وأعظمها، فأكلت حواء عن قولها، وأطعمت آدم عليه السلام ، وليس فيها ذكر لإبليس فعند ذلك انفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان، فوصلا من ورق التين وعملا ميازر وفيها أنهما

كانا عريانين، وكذا قال وهب بن منبه كان لبسهما نورا على فرجه وفرجها.

وهذا الذى في هذه التوراة التى بأيديهم غلط منهم وتحريف وخطأ فى التعريب، فإن نقل الكلام من لغة إلي لغة لايكاد يتيسر لكل أحد ولاسيما ممن لايعرف كلام العرب جيدا، ولا يحيط علما بفهم كتابه أيضا، فلهذا وقع فى تعريبهم لها خطأ كثير لفظا ومعنى ، وقد دل القرآن العظيم على أنه كان عليهما لباس فى قوله تعالى :

﴿ يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ (٢٧) ﴾ [سورة الأعراف]، فهذا لايرده غيره من الكلام، والله تعالى أعلم.

ظهور العورة

وقال ابن أبى حاتم: حدثنا على بن الحسن بن إسكاب، حدثنا على بن عاصم عن سعد بن أبى عروبة عن قتادة عن الحسن عن أبى بن كعب قال رسول الله ﷺ : «إن الله خلق آدم رجلا طوالا كثير شعر الرأس كأنه نخلة سحوق ، فلما ذاق الشجرة سقط عنه لباسه، فأول مابدا منه عورته، فلما نظر إلي عورته جعل يشتد فى الجنة، فأخذ شعره شجرة فنزعها، فناداه الرحمن عز وجل : يا آدم منى تفر، فلما سمع كلام الرحمن قال : يارب لا ولكن استحياء»، وقال الثورى : عن أبن أبى ليلى عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهم :

﴿ فَأَكَلا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ (١٢١) ﴾ [سورة طه]

ورق التين. وهذا إسناد صحيح إليه، وكأنه مأخوذ من أهل الكتاب، وظاهر الآية يقتضى أعم من ذلك وبتقدير تسليمه فلا يضر، والله تعالى أعلم.

وروى الحافظ إبن عساكر من طريق محمد بن إسحاق بن ذكوان عن الحسن البصرى عن أبى بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أباكم كان كالنخلة السحوق ستين ذراعا كثير الشعر موارى العورة، فلما أصاب الخطيئة فى الجنة بدت له سوأته، فخرج من الجنة فلقيته شجرة، فأخذت بناصيته، فناداه ربه، أفرار منى يا آدم، قال بل حياء منك- والله يارب- مما جئت به» ثم رواه من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن عن يحيى بن ضمرة عن أبي بن كعب عن النبى ﷺ بنحوه، وهذا أصح فإن الحسن لم يدرك أبيا، ثم أورد أيضا من طريق خيثمة بن سلمان الإطرابلسى عن محمد بن عبد الوهاب أبي قرصافة العسقلانى عن ادم بن أبى إياس عن شيبان عن قتادة عن أنس مرفوعا بنحوه

﴿ فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٢٢) قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣) ﴾ [سورة الأعراف]، وهذا اعتراف ورجوع إلى الإنابة وتذلل وخضوع واستكانة وافتقار إلا كانت عاقبته إلى خير فى دنياه وآخرته قال تعالى:

﴿ قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ (٢٤) ﴾ [سورة الأعراف]. وهذا خطاب لآدم وحواء وإبليس، وقيل: والحية معهم أمروا أن يهبطوا من الجنة في حال كونهم متعادين متحاربين، وقد

يستشهد لذكر الحية معهما بما ثبت فى الحديث عن رسول الله ﷺ : «أنه أمر بقتل الحيات، وقال ما سالمناهن منذ حاربناهن»

وقوله في سورة طه : ﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ (١٢٣) ﴾ [سورة طه]

هو أمر لآدم وإبليس، واستتبع آدم وحواء وإبليس: الحية. وقيل : هو أمر لهم بصيغة التثنية كما فى قوله سبحانه وتعالى :

﴿ وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ (٧٨) ﴾ [سورة الأنبياء]. والصحيح أن هذا لما كان الحاكم لايحكم إلا بين اثنين مدع ومدعى عليه، وكنا لحكمهم شاهدين.

أما تكريره الإهباط فى سورة البقرة فى قوله : ﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ (٣٦) فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (٣٧) قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٨) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٣٩) ﴾ [سورة البقرة].

فقال بعض المفسرين: المراد بالإهباط الأول : الهبوط من الجنة إلى السماء الدنيا، وبالثانى: من السماء الدنيا إلى الأرض.

وهذا ضعيف لقوله فى الأول : ﴿ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ (٣٦) ﴾ فدل على أنهم أهبطوا إلى الأرض بالاهباط الأول، والله أعلم.

والصحيح أنه كرره لفظا، وإن كان واحدا وناط كل مرة حكما، بالأول عداوتهم فيما بينهم، وبالثاني: الاشتراط عليهم أن من تبع هداه الذي ينزله عليهم بعد ذلك، فهو السعيد، ومن خالفه فهو الشقى، وهذا الأسلوب فى الكلام له نظائر فى القرآن الحكيم.

وروى الحافظ ابن عساكر عن مجاهد قال : أمر الله ملكين أن يخرجا آدم وحواء، فنزع جبريل التاج عن رأسه وحل ميكائيل الإكليل عن جبينه، وتعلق فظن آدم أنه قد عوجل بالعقوبة، فنكس رأسه يقول: العفو العفو، فقال الله فرارا منى ! قال : بل حياء منك ياسيدى . وقال الأوزاعى عن حسان هو ابن عطية: مكث آدم فى الجنة مائة عام، وفى رواية ستين عاما، وبكى على الجنة سبعين عاما، وعلى خطيئته سبعين عاما، وعلى ولده حين قتل أربعين عاما. رواه ابن عساكر.

وقال ابن أبى حاتم: حدثنا أبو زرعة، حدثنا عثمان بن أبى شيبة، حدثنا جرير عن سعيد عن ابن عباس قال : أهبط آدم عليه السلام إلى أرض يقال لها: دحنا بين مكة والطائف، وعن الحسن قال: اهبط آدم بالهند، وحواء بجدة، وإبليس بدستميسان من البصرة على أميال وأهبطت الحية بأصبهان رواه ابن أبى حاتم أيضا، وقال السدى: نزل آدم بالهند، ونزل معه بالحجر الأسود وبقبضة من ورق الجنة فبثه فى الهند فنبتت شجرة الطيب هناك.

وعن ابن عمر قال : أهبط آدم بالصفا، وحواء بالمروة. رواه ابن أبي حاتم أيضا.

وقال عبد الرزاق: قال معمر أخبرنى عوف عن قسامة بن زهير عن أبي موسى الأشعرى قال: إن الله حين أهبط آدم من الجنة إلى الأرض علمه كل شيء وزوده من ثمار الجنة، فثماركم هذه من ثمار الجنة، غير أن هذه تتغير وتلك لاتتغير.

مدة لبث آدم فى الجنة

وقال الحاكم فى مستدركه : أنبأنا أبو بكر بن بالويه عن محمد بن أحمد ابن النضر عن معاوية بن عمر عن زائدة عن عمار بن أبى معاوية البجلى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : ما أسكن آدم الجنة إلا مابين صلاة العصر إلى غروب الشمس، ثم قال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

وفى صحيح مسلم من حديث الزهرى عن الأعرج عن أبى هريرة قال: قال رسول الله: «خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة: فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها» وفى الصحيح من وجه آخر: «وفيه تقوم الساعة».

وقال أحمد : حدثنا محمد بن مصعب، حدثنا الأوزاعى عن أبى عمار عن عبد الله بن فروخ عن أبي هريرة عن النبى ﷺ قال : «خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها، وفيه تقوم الساعة» على شرط مسلم.

فأما الحديث الذى رواه ابن عساكر من طريق أبى القاسم البغوى، حدثنا محمد بن جعفر الوركانى، حدثنا سعيد بن ميسرة عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ :«هبط آدم وحواء عريانين جميعا عليهما ورق الجنة فأصابه الحر حتى قعد يبكى ويقول لها: ياحواء قد آذانى الحر. قال : فجاءه جبريل بقطن وأمرها أن تغزل وعلمها وأمر آدم بالحياكة وعلمه أن ينسج، وقال : وكان آدم لم يجامع امرأته في الجنة حتى هبط منها للخطيئة التى أصابتهما بأكلهما من الشجرة. قال : وكان كل واحد منهما ينام على حدة، ينام أحدهما في البطحاء والآخر من ناحية أخرى حتى أتاه جبريل فأمره أن يأتى أهله، قال : وعلمه كيف يأتيها، فلما أتاها جاءه جبريل فقال : كيف وجدت امرأتك؟ قال :صالحة) فإنه حديث غريب ورفعه منكر جدا، وقد يكون من كلام بعض السلف، وسعيد بن ميسرة هذا هو أبو عمران البكرى البصرى. قال فيه البخارى : منكر الحديث، وقال ابن حبان: يروى الموضوعات، وقال ابن عدى : مظلم الأمر.

توبة آدم وحواء

وقوله : ﴿ فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم ﴾ قيل : هى قوله ﴿ قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣) ﴾ [سورة الأعراف]. روى هذا عن مجاهد وسعيد بن جبير وأبى العالية والربيع بن أنس والحسن وقتادة ومحمد بن كعب وخالد بن معدان وعطاء الخراسانى وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم.

وقال ابن أبى حاتم: حدثنا على بن الحسين بن إشكاب، حدثنا على بن عاصم عن سعيد بن أبى عروبة عن قتادة عن الحسن عن أبى كعب قال: قال رسول الله ﷺ : «قال آدم عليه السلام : أرأيت يارب إن تبت ورجعت أعائدى إلى الجنة؟ قال : نعم فذلك قوله: ﴿ فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه ﴾ وهذا غريب من هذا الوجه وفيه انقطاع.

وقال ابن أبى نجيح عن مجاهد قال: الكلمات: (اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك، رب إنى ظلمت نفسى فاغفر لى إنك خير الغافرين. اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك رب إنى ظلمت نفسى فاغفر لى إنك خير الراحمين. اللهم لا إلا إله أنت سبحانك وبحمدك رب إنى ظلمت نفسى فتب على إنك أنت التواب الرحيم» وروى الحاكم فى مستدركه من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس: ﴿ فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه ﴾ قال آدم : يارب ألم تخلقنى بيدك ؟! قيل له : بلى . ونفخت فى من روحك. قيل له : بلى وعطست فقلت : الحمد لله ، فقلت : يرحمك الله ، وسبقت رحمتك غضبك، قيل له : بلى وكتبت على أن أعمل هذا قيل له بلى. قال : أفرأيت إن تبت هل أنت راجعى إلى الجنة؟ قال : نعم» ثم قال الحاكم صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

هل استشفع آدم بمحمد ﷺ

وروى الحاكم أيضا والبيهقى وابن عساكر من طريق عبد الرحمن بن زيد ابن أسلم عن أبيه عن جده عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ : «لما اقترف آدم الخطيئة قال: يارب أسألك بحق محمد أن تغفر لي، فقال الله :كيف محمدا ولم أخلقه بعد، فقال: يارب لأنك لما خلقتنى بيدك ونفخت فى من روحك رفعت رأسى فرأيت على قوائم العرش مكتوبا لا إله إلا الله محمد رسول الله، فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك، فقال يا آدم إنه لأحب الخلق إلى وإذا سألتنى بحقه فقد غفرت لك، ولولا محمد ما خلقتك» قال البيهقى: تفرد به عبد الرحمن بن زيد بن أسلم من هذا الوجه وهو ضعيف، والله أعلم، وهذه الآية كقوله تعالى :

﴿ فَأَكَلا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ (١٢١) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ (١٢٢) ﴾ [سورة طه].

وقائع القصة - خلق آدم عليه السلام

وهاك ماقاله الحافظ ابن كثير فى تاريخه .

باب خلق آدم عليه السلام

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ (٣٠) وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٣١) قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٣٢) قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ (٣٣) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٣٤) وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (٣٥) فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ (٣٦) فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (٣٧) قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٨) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ . [البقرة].

قال تعالى : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران : ٥٩] ،

وقال تعالى :﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء : الآية ١].

كما قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١٣) ﴾ [سورة الحجرات].

وقال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (١٨٩) ﴾ [سورة الأعراف].

وقال تعالى : ﴿ ولقد خلقنكم ثم صورنكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من السجدين * قال مامنعكم ألا تسجد إذا أمرتك قال أنا خير منه ﴾

كما قال فى الآية الأخرى : ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ (٥٥) ﴾ [سورة طه]

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (٢٦) وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ (٢٧) وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (٢٨) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٢٩) فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٣٠) إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣١) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلاَّ تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣٢) قَالَ لَمْ أَكُن لأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (٣٣) قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٣٤) وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ

الدّين (٣٥) قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٣٦) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ (٣٧) إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (٣٨) قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٤٠) قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ (٤١) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ (٤٢) وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ (٤٣) لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴾ [الحجر : الآية ٢٦-٤٤].

وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا (٦١) قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلاً (٦٢) قَالَ اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَّوْفُورًا (٦٣) وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا (٦٤) ﴾ [سورة الإسراء].

وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً (٥٠) ﴾ [سورة الكهف].

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا (١١٥) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ (١١٦) فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ (١١٧) إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَىٰ (١١٨) وَأَنَّكَ لا تَظْمَأُ فِيهَا وَلا تَضْحَىٰ (١١٩) فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لاَّ يَبْلَىٰ (١٢٠) فَأَكَلا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ

الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ (١٢١) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ (١٢٢) قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَىٰ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ (١٢٦) ﴾ [سورة طه].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ (٦٧) أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ (٦٨) مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ (٦٩) إِن يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلاَّ أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٧٠) إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٧٢) فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٧٣) إِلاَّ إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٧٤) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ (٧٥) قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ (٧٦) قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٧٧) وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ (٧٨) قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٧٩) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ (٨٠) إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (٨١) قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٨٣) قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ (٨٤) لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٥) قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ (٨٦) إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ (٨٧) وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ (٨٨) ﴾ [سورة ص]

فهذا ذكر هذه القصة من مواضع متفرقة من القرآن.

الآيات التى ورد فيها ذكر البشر

سورة المدثر

إن هذا إلا قول البشر- نسب المشركون القرآن إلى البشر دلالة على أنهم يفهمون أن الإنسان هو البشر والبشر هو الإنسان والله تعالى لم يعب عليهم هذا الفهم بدليل أنه لم يقل أن البشر غير الإنسان وأن الإنسان غير البشر أو أن البشر غير آدم وأنما يعيب عليهم نسبة القرآن إلى البشر.

لواحة للبشر- إذا كان البشر غير آدم وغير مكلفين فكيف يعذبون فى النار؟

وماهى إلا ذكرى للبشر- فيها دلالة على أن البشر مكلفين.

وقوله نذيرا للبشر ولم يقل نذيرا لآدم فدل أنه ليس هناك فرق بين آدم والبشر.

سورة القمر

أبشرا منا واحدا نتبعه - ولم يقولوا إنسان منا واحد تدل أنه لافرق بين الإنسان والبشر.

ثم : قوله تعالى على لسان إبليس أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين ألا تدل هذه الآية أن المخلوق الذى أمر إبليس بالسجود له هو مخلوق من طين وهو آدم وليس غيره يسمى بشرا وإنما آدم هو البشر وأبو البشر وأن البشر هو آدم؟

إذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشرا من طين- ثم تأتى الآيات بعد ذلك تأمر الملائكة بالسجود لهذا المخلوق فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له

ساجدين. الآيات من سورة ص . هل تدل هذه الآيات أن البشر شيء والإنسان شيء آخر.

قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا (٥٤) ﴾ [سورة الفرقان]

ومن آياته : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (٢٨) ﴾ [سورة الحجر].

ومن آياته : ﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ (١٩) وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ (٢٠) ﴾ [سورة الروم]

ومن آياته : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ (٦) ﴾ [سورة فصلت]

هذه الآية وصفت الرسول ﷺ بأنه بشر وهو سيد الخلق فليس البشر إذا مخلوق همجى كما يفهم الدكتور عبد الصبور شاهين صاحب كتاب أبى آدم. ﴿ ... مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ (٣١) ﴾ [سورة يوسف]

ومعلوم أن النسوة الاتى قلن هذه العبارة وأوردها القرآن فى سورة يوسف لم يقصدن نفى البشرية عن يوسف وإنما تشبيهه بالملائكة فهو إقرار ضمنى أن يوسف بشر.

﴿ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا (٢٠) ﴾
قول الدكتور أى مخلوق على الإطلاق هذه مغالطة كما نوهنا سابقا.

﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ

كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ (٧٩) ﴾ [سورة آل عمران]

هذه الآية تشير إلى أن رسل الإنس من البشر، فليس ثمة فرق بين الإنس والبشر، وليس البشر غير مكلفين وفاقدين للأسماع والأبصار والأفئدة كما يزعم الدكتور بدليل أن الأنبياء بشر كما تقول الآية.

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (٦) ﴾ [سورة التغابن] ، وهذه الآية أيضا تدل على أن الأنبياء بشر.

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (١٨) ﴾ [سورة المائدة]

وهذه الآية أيضا تصف اليهود بأنهم بشر ، والدكتور يقول إن البشر خلقوا قبل آدم بملايين السنين، فهل كان اليهود قبل آدم ومعلوم أن آدم قبل موسى رسول اليهود ، ثم أن الدكتور يزعم أن البشر كانوا غير مكلفين، فهل كان فيهم يهود مكلفون، والغريب أن الدكتور يستشهد بهذه الآيات وهى حجة عليه، ويزعم أن كل إنسان بشر وليس كل بشر إنسان، نسأل الله لنا وله الهداية.

الأحاديث الواردة فى خلق آدم

قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى ومحمد بن جعفر ، حدثنا عوف ، حدثنى قسامة بن زهير عن أبى موسى عن النبى ﷺ قال : «إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض ، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، فجاء منهم الأبيض والأحمر والأسود وبين ذلك ، والخبيث والطيب، والسهل والحزن ، وبين ذلك».

ورواه أيضا عن هوذة عن عوف عن قسامة بن زهير سمعت الأشعرى قال : قال رسول ﷺ :«إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، فجاء منهم الأبيض والأحمر والأسود، وبين ذلك والسهل والحزن، وبين ذلك، والخبيث والطيب، وبين ذلك»، وكذا رواه أبو داود والترمذى وابن حبان فى صحيحه من حديث عوف بن أبى الأعرابى عن قسامة بن زهير المازنى البصرى عن أبى موسى عبد الله بن قيس الأشعرى عن النبى ﷺ بنحوه، وقال الترمذى حسن صحيح [١].

وقد ذكر السدى عن أبى مالك وأبي صالح عن ابن عباس، وعن مرة عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا: «فبعث الله عز وجل جبريل في الأرض ليأتيه بطين منها، فقالت الأرض: أعوذ بالله منك أن تنقص منى أو تشيننى، فرجع ولم يأخذ، وقال: رب إنها عاذت بك فأعذتها، فبعث ميكائيل، فعاذت منه، فأعاذها، فرجع فقال كما قال جبريل، فبعث ملك الموت، فعاذت منه فقال: وأنا أعوذ بالله أن أرجع ولم أنفذ أمره، فأخذ من وجه الأرض وخلطه ولم يأخذ من مكان واحد، وأخذ من تربة بيضاء وحمراء وسوداء، فلذلك

(١) أخرجه أحمد والترمذى.

خرج بنو آدم مختلفين فصعد به فبل التراب حتى عاد طينا لازبا- واللازب هو الذى يلزق بعضه ببعض- ثم قال للملائكة: ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٧٢) فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٧٣) ﴾ [سورة ص]، فخلقه الله بيد لئلا يتكبر إبليس عليه، فخلقه بشرا فكان جسدا من طين أربعين سنة من مقدار يوم الجمعة، فمرت به الملائكة، ففزعوا منه، وكان أشدهم منه فزعا إبليس، فكان يمر به، فيضربه فيصوت الجسد كما يصوت الفخار يكون له صلصلة، فذلك حين يقول : ﴿ .. من صلصال كالفخار﴾ ويقول : لأمر ما خلقت ودخل من فيه وخرج من دبره، وقال للملائكة: لاترهبوا من هذا فإن ربكم صمد وهذا أجوف، لئن سلطت عليه لأهلكنه، فلما بلغ الحين الذى يريد الله عز وجل أن ينفخ فيه الروح، قال للملائكة: فإذا ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين ، فلما نفخ فيه الروح فدخل الروح فى رأسه عطس، فقالت الملائكة قل : الحمد لله، فقال : الحمد لله، فقال له الله : رحمك ربك، فلما دخلت الروح فى عينيه نظر إلي ثمار الجنة ، فلما دخلت الروح في جوفه اشتهى الطعام، فوثب قبل أن تبلغ الروح إلي رجليه عجلان إلي ثمار الجنة وذلك حين يقول الله تعالى : ﴿ خُلِقَ الإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلا تَسْتَعْجِلُونِ (٣٧) ﴾ [سورة الأنبياء]،

﴿ فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٣٠) إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣١) ﴾ [سورة الحجر]

وذكر تمام القصة ولبعض هذا السياق شاهد من الأحاديث، وإن كان كثير منه متلقى من الإسرائيليات ، فقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد، حدثنا حماد عن ثابت عن أنس أن النبى ﷺ قال : «لما خلق الله آدم تركه ماشاء أن

يدعه، فجلس إبليس بطيف به ، فلما رآه أجوف عرف أنه خلق لايتمالك».

وقال أبى حبان فى صحيحه: حدثنا الحسن بن سفيان، حدثنا هدبة بن خالد، حدثنا حماد بن سلمة عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : «لما نفخ فى آدم فبلغ الروح رأسه عطس، فقال : الحمد لله رب العالمين، فقال له تبارك وتعالى : يرحمك الله».

وقال الحافظ أبو بكر البزار يحيى بن محمد بن السكن : حدثنا حبان بن هلال، حدثنا مبارك بن فضالة عن عبيد الله عن حبيب عن حفص هو ابن عاصم بن عبيد الله بن عمر بن الخطاب عن أبى هريرة رفعه قال:«لما خلق الله آدم عطس فقال: الحمد لله، فقال له ربه: رحمك ربك يا آدم»، وهذا الإسناد لا بأس به ولم يخرجوه.

وقال عمر بن عبد العزيز: (لما أمرت الملائكة بالسجود كان أول من سجد منهم إسرافيل، فآتاه الله أن كتب القرآن فى جبهته) رواه ابن عساكر.

وقال الحافظ أبو يعلى : حدثنا عقبة بن مكرم، حدثنا عمرو بن محمد عن إسماعيل بن رافع عن المقبرى عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال :« إن الله خلق آدم من تراب، ثم جعله طينا، ثم تركه حتى إذا كان حمأ مسنونا خلقه وصوره، ثم تركه حتى إذا كان صلصالا كالفخار، قال : فكان إبليس يمر به فيقول له: لقد خلقت لأمر عظيم، ثم نفخ الله فيه من روحه، فكان أول ما جرى فيه الروح بصره وخياشيمه، فعطس فلقاه الله رحمة ربه، فقال الله يرحمك ربك، ثم قال الله : يا آدم اذهب إلي هؤلاء النفر، فانظر ماذا يقولون : فجاء فسلم عليهم فقالوا: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته، فقال يا آدم: هذا تحيتك وتحية ذريتك. قال : يارب وما ذريتى قال اختر يدى يا آدم، قال : أختار يمين ربى وكلتا يدى ربى يمين، وبسط كفه، فإذا من هو كائن من ذريته فى كف الرحمن،

فإذا رجال منهم أفواههم النور، فإذا رجل يعجب آدم نوره قال : يارب من هذا . قال : ابنك داود. قال : يارب فكم جعلت له من العمر؟ قال : جعلت له ستين. قال: يارب فأتم له من عمرى حتى يكون له من العمر مئة سنة، ففعل الله ذلك وأشهد علي ذلك، فلما نفد عمر آدم بعث الله ملك الموت فقال: آدم: أو لم يبق من عمرى أربعون سنة. قال له الملك : أولم تعطها ابنك داود، فجحد ذلك فجحدت ذرينه ونسى فنسيت ذريته»، وقد رواه الحافظ أبو بكر البزاروالترمذى والنسائى فى اليوم والليلة من حديث صفوان ابن عيسى عن الحارث بن عبد الرحمن بن أبى ذباب عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة عن النبى ﷺ ، وقال الترمذى حديث حسن غريب من هذا الوجه.

وقال النسائى: هذا حديث منكر وقد رواه محمد بن عجلان عن سعيد المقبرى عن أبيه عن عبد الله بن سلام.

وقال الترمذى : حدثنا عبد بن حميد، حدثنا أبو نعيم، حدثنا هشام بن سعيد عن زيد بن أسلم عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لما خلق الله آدم مسح ظهره، فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة، وجعل بين عينى كل إنسان منهم وبيصا من نور، ثم عرضهم على آدم فقال : أى رب من هؤلاء، فقال : هؤلاء ذريتك، فرأى رجلا منهم فأعجبه وبيص ما بين عينيه، فقال : أى ربى من هذا؟ قال : هذا رجل من آخر الأمم من ذريتك يقال له : داود. قال : ربي وكم جعلت عمره؟ قال : ستين سنة. قال : أى رب زده من عمرى أربعين سنة، فلما انقضى عمر آدم جاءه ملك الموت قال: أو لم يبق من عمرى أربعون سنة؟ قال : أولم تعطها ابنك داود. قال : فجحد، فجحدت ذريته ونسى آدم فنسيت ذريته وخطئ آدم، فخطئت ذريته» ثم قال الترمذى: حسن صحيح، وقد روى من غير وجه عن أبى هريرة عن النبى

ﷺ ، ورواه الحاكم في مستدركه من حديث أبى نعيم الفضل بن دكين، وقال : صحيح علي شرط مسلم ولم يخرجاه.

وروى ابن أبى حاتم من حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن عطاء بن يسار عن أبى هريرة مرفوعا فذكره، وفيه: «ثم عرضهم على آدم فقال: يا آدم هؤلاء ذريتك، وإذا فيهم الأجذم والأبرص والأعمى وأنواع الأسقام، فقال آدم: يارب لم فعلت هذا بذريتى ؟! قال : كى تشكر نعمتى» ثم ذكر قصة داود، وستأتى من رواية ابن عباس أيضا.

وقال الإمام أحمد في مسنده: حدثنا الهيثم بن خارجة، حدثنا أبو الربيع عن يونس بن ميسرة عن أبى إدريس عن أبى الدرداء عن النبى ﷺ قال: «خلق الله آدم حين خلقه، فضرب كتفه اليمنى، فأخرج ذرية بيضاء كأنهم الذر، وضرب كتفه اليسرى، فأخرج ذرية سوداء كأنهم الحمم. فقال للذى فى يمينه: إلى الجنة ولا أبالى. وقال للذى فى كتفه اليسرى : إلى النار ولا أبالى».

وقال ابن أبى الدنيا: حدثنا خلف بن هشام ، حدثنا الحكم بن سنان عن شهر حوشب عن الحسن قال :« خلق الله آدم حين خلقه فأخرج أهل الجنة من صفحته اليمنى، وأخرج أهل النار من صفحته اليسرى، فألقوا على وجه الأرض منهم : الأعمى والأصم والمبتلى. فقال آدم: يارب ألا سويت بين ولدى ؟! قال : يا آدم إنى أردت أن أشكر» وهكذا روى عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن الحسن بنحوه.

وقد رواه أبو حاتم، وابن حبان فى صحيحه فقال : حدثنا محمد بن إسحاق ابن خزيمة، حدثنا محمد بن بشار، حدثنا صفوان بن عيسى، حدثنا الحارث ابن عبد الرحمن بن أبى ذباب عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ :«لما خلق الله آدم ونفخ فيه الروح عطس، فقال : الحمد لله

بإذن الله، فقال له ربه: يرحمك ربك يا آدم، اذهب إلى أولئك الملائكة إلى ملأ منهم جلوس، فسلم عليهم، فقال : السلام عليكم ، فقالوا وعليكم السلام ورحمة الله. ثم رجع إلى ربه فقال : هذه تحيتك وتحية بنيك بينهم، وقال الله ويداه مقبوضتان: اختر أيهما شئت، فقال: اخترت يمين ربى ، وكلتا يدى ربى يمين مباركة، ثم بسطها، فإذا فيها آدم وذريته، فقال : أى رب ماهؤلاء؟ قال : هؤلاء ذريتك، وإذا كل إنسان منهم مكتوب عمره بين عينيه، وإذا فيهم رجل أضوؤهم أو من أضوئهم لم يكتب له إلا أربعون سنة قال يارب ماهذا؟ قال: هذا ابنك داود، وقد كتب الله عمره أربعين سنة. قال : أى رب زده فى عمره، فقال: ذاك الذى كتب له. قال : فإنى قد جعلت له من عمرى ستين سنة. قال : أنت وذاك. أسكن الجنة، فسكن الجنة ماشاء الله، ثم هبط منها، وكان آدم يعد لنفسه فأتاه ملك الموت، فقال له آدم: قد عجلت قد كتب لى ألف سنة. قال : بلى ولكنك جعلت لأبنك داود منها ستين، فجحد آدم، فجحدت ذريته ونسى فنسيت ذريته، فيؤمئذ أمر الكتاب والشهود» هذا لفظه.

وقد قال البخارى : حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة عن النبى ﷺ قال :«خلق الله آدم وطوله ستون ذراعا، ثم قال: اذهب وسلم على أولئك النفر من الملائكة واستمع ما يجيبونك فإنها تحيتك وتحية ذريتك، فقال السلام عليكم، فقالوا: السلام عليك ورحمة الله فزادوه ورحمة الله، فكل من يدخل الجنة على صرة آدم، فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن»، وهكذا رواه البخارى فى كتاب الاستئذان عن يحيى بن جعفر، ومسلم عن محمد بن رافع كلاهما عن عبد الرزاق به.

وقال الإمام أحمد: حدثنا روح ، حدثنا حماد بن سلمة عن على بن زيد عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: « كان طول آدم

ستين ذراعا في سبع أذرع عرضا» انفرد به أحمد.

وقال الإمام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا حماد بن سلمة عن على بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال : لما نزلت آية الدين قال رسول الله ﷺ :«إن أول من جحد آدم، إن أول من جحد آدم، إن أول من جحد آدم، إن الله لما خلق آدم ومسح ظهره فأخرج منه ماهو ذر إلى يوم القيامة، فجعل يعرض ذريته عليه فرأى فيهم رجلا يزهر قال : رب من هذا؟ قال : هذا ابنك داود ، قال : أى رب كم عمره؟ قال :ستون عاما. قال : أى رب زد في عمره. قال : لا إلا أن أزيده من عمرك، وكان عمر آدم ألف عام فزاده أربعين عاما، فكتب الله عليه بذلك كتابا، وأشهد عليه الملائكة، فلما احتضر آدم أتته الملائكة تقبضه قال: إنه قد بقى من عمرى أربعون عاما. فقيل له: إنك قد وهبتها لابنك داود. قال : مافعلت وأبرز الله عليه الكتاب وشهدت عليه الملائكة».

وقال أحمد: حدثنا أسود بن عامر، حدثنا حماد بن سلمة عن على بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : «إن أول من جحد آدم قالها ثلاث مرات، إن الله عز وجل لما خلقه مسح ظهره، فأخرج ذريته، فعرضهم عليه، فرأى فيهم رجلا يزهر، فقال أى رب زد في عمره. قال : لا إلا أن تزيده أنت من عمرك فزاده أربعين سنة من عمره، فكتب الله تعالى عليه كتابا وأشهد عليه الملائكة، فلما أراد أن يقبض روحه قال: إنه بقى من أجلى أربعون سنة فقيل له : إنك قد جعلتها لابنك داود قال: فجحد. قال : فأخرج الله الكتاب وأقام عليه البينة، فأتمها لداود مائة سنة، وأتم لآدم عمره ألف سنة» تفرد به أحمد وعلى بن زيد في حديثه نكارة.

ورواه الطبراني عن على بن عبد العزيز عن حجاج بن منهال عن حماد بن سلمة عن على بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس وغير واحد عن

الحسن قال:«لما نزلت آية الدين قال رسول الله ﷺ :«إن أول من جحد آدم ثلاثا» وذكره.

وقال الإمام مالك بن أنس في موطئه عن زيد بن أبي أنيسة أن عبد الحميد ابن زيد بن الخطاب أخبره عن مسلم بن يسار الجهنى أن عمر بن الخطاب سئل عن هذه الآية: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ (١٧٢) ﴾ [سورة الأعراف].

فقال عمر بن الخطاب : سمعت رسول الله ﷺ يسأل عنها، فقال : «إن الله خلق آدم عليه السلام، ثم مسح ظهره بيمينه، فاستخرج منه ذريته. قال : خلقت هؤلاء للجنة ، وبعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذريته ، قال : خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهلى النار يعملون، فقال رجل يارسول الله ففيم العمل ؟ قال رسول الله ﷺ :إذا خلق الله العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة، فيدخل به الجنة، وإذا خلق الله العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار».

وهكذا رواه الإمام أحمد، وأبو داود، والترمذي، والنسائى، وابن جرير وابن أبي حاتم، وأبو حاتم بن حبان فى صحيحه من طرق عن الإمام مالك به، وقال الترمذى: هذا حديث حسن. ومسلم بن يسار لم يسمع عمر، وكذا قال أبو حاتم وأبو زرعة، زاد أبو حاتم وبينهما نعيم بن ربيعة، وقد رواه أبو داود عن محمد بن مصفى عن بقية عن عمر بن جعثم عن زيد بن أبى أنيسة عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب عن مسلم بن يسار عن نعيم بن ربيعة، قال : كنت عند عمر بن الخطاب وقد سئل عن هذه الآية فذكر الحديث. قال الحافظ

الدارقطني: وقد تابع عمر بن جعثم أبو فروة بن يزيد بن سنان الرهاوى عن زيد بن أبى أنيسة قال: وقولهما أولي بالصواب من قول مالك رحمه الله.

وهذه الأحاديث كلها دالة على استخراجه تعالى ذرية آدم من ظهره كالذر وقسمتهم قسمين أهل اليمين وأهل الشمال، وقال : هؤلاء للجنة ولا أبالى ، وهؤلاء للنار ولا أبالى، فأما الإشهاد عليهم واستنطاقهم بالإقرار بالوحدانية، فلم يجئ فى الأحاديث الثابتة، وتفسير الآية فى سورة الأعراف وحملها على هذا فيه نظر .

فأما الحديث الذى رواه أحمد: حدثنا حسين بن محمد، حدثنا جرير . يعنى ابن حازم عن كلثوم بن جبر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبى ﷺ : قال : «إن الله أخذ الميثاق من ظهر آدم عليه السلام بنعمان يوم عرفة، فأخرج من صلبه كل ذرية ذراها فنثرها بين يديه، ثم كلمهم قبلا قال: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ (١٧٢) أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ (١٧٣) ﴾ [سورة الأعراف] ،

فهو بإسناد جيد قوى على شرط مسلم، رواه النسائى وابن جرير والحاكم فى مستدركه من حديث حسين بن محمد المروزى به، وكذا روى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس موقوفا. وهكذا رواه العوفى والوالبى والضحاك وأبو جمرة عن ابن عباس قوله، وهذا أثبت وأكثر، والله أعلم.

وهكذا روى عن عبد الله بن عمرموقوفا ومرفوعا والموقوف أصح.

واستأنس القائلون بهذا القول- وهو أخذ الميثاق على الذرية- وهم

الجمهور بما قال الإمام أحمد حدثنا حجاج، حدثنا شعبة عن أبى عمران الجونى عن أنس بن مالك عن النبى ﷺ قال :« يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة: لو كان لك ما على الأرض من شىء أكنت مفتديا به؟ قال : فيقول: نعم. فيقول : قد أردت منك ماهو أهون من ذلك قد أخذت عليك فى ظهر آدم أن لا تشرك بى شيئا فأبيت إلا أن تشرك بى» أخرجاه من حديث شعبة به.

وقال أبو جعفر الرازى عن الربيع عن أنس عن أبى بن كعب في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ... (١٧٢) ﴾ والتى بعدها، قال : فجمعهم له يومئذ جميعا ماهو كائن منه إلي يوم القيامة، فخلقهم من ظهورهم، ثم استنطقهم، فتكلموا وأخذ عليهم العهد والميثاق، وأشهد عليهم أنفسهم ﴿ ... أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ... (١٧٢) ﴾ الآية، قال : فإنى أشهد عليكم السماوات السبع والأرضين السبع، وأشهد عليكم أباكم آدم أن لاتقولوا يوم القيامة لم نعلم بهذا. اعلموا أنه لا إله غيرى ولا رب غيرى، ولا تشركوا بى شيئا، وإنى سأرسل إليكم رسلا ينذرونكم عهدى وميثاقى، وأنزل عليكم كتابى ، قالوا: نشهد إنك ربنا وإلهنا لارب غيرك، ولا إله لنا غيرك فأقروا له يومئذ بالطاعة ورفع أباهم آدم فنظر إليهم فرأى فيهم الغنى والفقير وحسن الصورة ودون ذلك، فقال : يارب لو سويت بين عبادك، فقال : إنى أحببت أن أشكر. ورأى فيهم الأنبياء مثل السرج عليهم النور وخصوا بميثاق آخر من الرسالة والنبوة، فهو الذى يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا (٧) ﴾ [سورة الأحزاب]، وهو الذى يقول : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (٣٠) ﴾ [سورة الروم]

وفى ذلك قال : ﴿ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الْأُولَىٰ (٥٦) ﴾ [سورة النجم]،

وفى ذلك قول : ﴿ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ (١٠٢) ﴾ [الأعراف]

رواه الأئمة، عبد الله بن أحمد وابن أبى حاتم، وابن جرير، وابن مردويه فى تفاسيرهم من طريق أبى جعفر.

وروى عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير، والحسن البصرى وقتادة والسدى وغير واحد من علماء السلف بسياقات توافق هذه الأحاديث.

وتقدم أنه تعالى لما أمر الملائكة بالسجود لآدم امتثلوا كلهم الأمر الإلهى، وامتنع إبليس من السجود حسدا وعداوة، فطرده الله وأبعده وأخرجه من الحضرة الإلهية ونفاه عنها، وأهبط إلي الأرض طريدا ملعونا شيطانا رجيما.

وقد قال الإمام أحمد: حدثنا وكيع، ويعلي ومحمد ابنا عبيد قالوا: حدثنا الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ :«إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكى يقول: ياويله أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة، وأمرت بالسجود فعصيت فلى النار»، ورواه مسلم من حديث وكيع وأبى معاوية عن الأعمش به.

ثم لما أسكن آدم الجنة التى أسكنها- سواء كانت فى السماء أو في الأرض على ماتقدم من الخلاف فيه- أقام بها وزوجه حواء عليهما السلام يأكلان منها رغدا حيث شاءا فلما أكلا من الشجرة التى نهيا عنها سلبا ماكان فيه من اللباس، وأهبطا إلى الأرض، وقد ذكرنا الاختلاف فى مواضع هبوطه منها.

واختلفوا في مقدار مقامه فى الجنة، فقيل بعض يوم من أيام الدنيا، وقد قدمنا ما رواه مسلم عن أبى هريرة مرفوعا: «وخلق آدم فى آخر ساعة من ساعات يوم الجمعة» وتقدم أيضا حديثه عنه(وفيه- يعنى يوم الجمعة- خلق آدم وفيه أخرج منها).

فإن كان اليوم الذى خلق فيه، فيه أخرج، وقلنا: إن الأيام الستة كهذه الأيام فقد لبث بعض يوم من هذه، وفى هذا نظر، وإن كان إخراجه فى غير اليوم الذى خلق فيه أو قلنا: بأن تلك الأيام مقدارها ستة آلاف سنة كما تقدم عن ابن عباس ومجاهد والضحاك واختاره ابن جرير فقد لبث هناك مدة طويلة.

قال ابن جرير: ومعلوم أنه خلق فى آخر ساعة من يوم الجمعة، والساعة منه ثلاث وثمانون سنة وأربعون أشهر، فمكث مصورا طينا قبل أن ينفخ فيه الروح أربعين سنة، وأقام في الجنة قبل أن يهبط ثلاثا وأربعين سنة وأربعة أشهر، والله أعلم.

وقد روى عبد الرزاق عن هشام بن حسان عن سوار خبر عطاء بن أبي رباح أنه كان لما هبط رجلاه فى الأرض ورأسه فى السماء فحطه الله إلي ستين ذراعا، وقد روى عن ابن عباس نحوه، وفى هذا نظر لما تقدم من الحديث المتفق على صحته عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ قال :«إن الله خلق آدم وطوله ستون ذراعا وإن ذريته لم يزالوا يتناقص خلقهم حتى الآن».

وذكر ابن جرير عن ابن عباس: إن الله قال: يا آدم إن لى حرما بحيال عرشى فانطلق فابن لى فيه بيتا فطف به كما تطوف ملائكتى بعرشى، وأرسل الله ملكا فعرفه مكانه، وعلمه المناسك، وذكر أن موضع كل خطوة خطاها آدم صارت قرية بعد ذلك.

وعنه أن أول طعام أكله آدم فى الأرض أن جاءه جبريل بسبع حبات من حنطة، فقال : ماهذا؟ قال : هذا من الشجرة التى نهيت عنها، فأكلت منها. قال: وما أصنع بهذا؟ قال : ابذره فى الأرض، فبذره وكان كل حبة منها زنتها أزيد من مائة ألف، فنبتت، فحصده، ثم درسه، ثم ذراه، ثم طحنه، ثم عجنه، ثم خبزه، فأكله بعد جهد عظيم وتعب ونكد وذلك قوله تعالى : ﴿ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ (١١٧) ﴾ [سورة طه]

وكان أول كسوتهما من شعر الضأن، جزاه، ثم غزلاه، فنسج آدم له جبة ولحواء درعا وخمارا.

واختلفوا هل ولد لهما بالجنة شىء من الأولاد، فقيل: لم يولد لهما إلا في الأرض، وقيل: بل ولد لهما فيها، فكان قابيل وأخته ممن ولد بها، والله أعلم.

وذكر أنه كان يولد له فى كل بطن ذكر وأنثى، وأمر أن يزوج كل ابن أخت أخيه التى ولدت معه والآخر بالأخرى، وهلم جرا، ولم يكن تحل أخت لأخيها الذي ولدت معه.

الآيات التي ورد فيها ذكر الإنسان

١- ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا (٢٨) ﴾ [سورة النساء] وصف بالضعف.

٢- ﴿ وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٢) ﴾ [سورة يونس]، وصف بالنكران والإسراف.

٣- ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ (٩) ﴾ [سورة هود]، وصف هنا باليأس والكفور.

٤- ﴿ قَالَ يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٥) ﴾ [سورة يوسف]

٥- ﴿ وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ (٣٤) ﴾ [سورة إبراهيم]، وصف بالظلم والكفر.

٦- ﴿ خَلَقَ الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ (٤) ﴾ [سورة النحل]وصف بأنه بين الخصام.

٧- ﴿ وَيَدْعُ الإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولاً (١١) ﴾ [سورة الإسراء]، وصف بالعجلة.

٨- ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الإِنسَانُ كَفُورًا (٦٧) ﴾ [سورة الإسراء]، وصف بالكفر.

٩- ﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا (٨٣) ﴾ [سورة الإسراء]، وصف بالإعراض والبعد عن الله واليأس.

١٠- ﴿ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الإِنفَاقِ وَكَانَ الإِنسَانُ قَتُورًا (١٠٠) ﴾ [سورة الإسراء]، وصف بالبخل.

١١- ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً (٥٤) ﴾ [سورة الكهف] ، وصف بكثرة الجدل.

١٢- ﴿ خُلِقَ الإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلا تَسْتَعْجِلُونِ (٣٧) ﴾[سورة الأنبياء] ، وصف بالعجل.

١٣- ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الإِنسَانَ لَكَفُورٌ (٦٦) [سورة الحج]، وصف بالكفر.

١٤- ﴿ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً (٢٩) ﴾ [سورة الفرقان]، محايدة.

١٥- ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً (٧٢) ﴾ [سورة الأحزاب] ، وصف بالظلم والجهل.

١٦- ﴿ أَوَ لَمْ يَرَ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ (٧٧) ﴾ [سورة يس]

١٧- ﴿ وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ (٨) ﴾ [سورة الزمر]، وصف بالنسيان، واتخاذ الأنداد والضلال.

١٨- ﴿ فَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ (٤٩) ﴾ [سورة الزمر]، وصف بالنكران وإدعاؤه الفضل لنفسه.

١٩- ﴿ لا يَسْأَمُ الإِنسَانُ مِن دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ (٤٩) ﴾ [سورة فصلت].

٢٠- ﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ (٥١) ﴾ [سورة فصلت]، وصف بالأعراض والبعد عن الله.

٢١- ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلاَّ الْبَلاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الإِنسَانَ كَفُورٌ (٤٨) ﴾ [سورة الشورى]، وصف بالكفر.

٢٢- ﴿ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الإِنسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ (١٥) ﴾ [سورة الزخرف].

٢٣- ﴿ إن الإنسان خلق هلوعا إذا مسه الشر جزوعا وإذا مسه الخير منوعا ﴾ [المعارج:١٩-٢١]. وصف بالهلع والجزع والمنع أى البخل والشح.

٢٤- ﴿ بَلِ الإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ (١٤) ﴾ [سورة القيامة] محايدة.

٢٥- ﴿ أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى (٣٦) ﴾ [سورة القيامة]

٢٦- ﴿ قُتِلَ الإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ (١٧) ﴾ [سورة عبس]، دعاء على الإنسان بالقتل أى اللعن ووصف له بالكفر.

٢٧- ﴿ يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (٦) ﴾[سورة الأنفطار] وصف بالغرور.

٢٨- ﴿ يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاقِيهِ (٦) ﴾ [سورة الأنشقاق]. محايدة.

٢٩- ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبَدٍ (٤) ﴾ [سورة البلد]

٣٠- ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (٤) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (٥) ﴾ [سورة التين]، وصف بحسن التقويم ثم بالسفول.

٣١- ﴿ كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ (٦) أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ (٧) ﴾ [سورة العلق]، وصف بالطغيان فى حالة الاستغناء.

٣٢- ﴿ إِنَّ الإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ (٦) وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ (٧) وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ (٨) ﴾ [سورة العاديات]، وصف بالكنود وشدة الحب للمال.

٣٣- ﴿ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) ﴾ [سورة العصر]، وصف بالخسران.

وهكذا نرى أن مقولة الدكتور أن البشر همج رعاع عمى صم غير مكلفين سفاكى دماء وأن الإنسان هو الشريف العظيم المكرم الراقي نرى هذا الإنسان قد وصف بهذه الأوصاف فهل يُصر بعد ذلك على هذا القول.

ما ورد في خلق آدم عليه السلام

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ (٣٠) وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٣١) قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٣٢) قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ (٣٣) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٣٤) وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (٣٥) فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ (٣٦) فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (٣٧) قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٨) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٣٩)﴾ [سورة البقرة]

وقال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٥٩)﴾ [سورة آل عمران]

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي

تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [سورة النساء]

كما قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [سورة الحجرات]

وقال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ ﴾ [سورة الأعراف]

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن

تلكُمَا الشَّجَرَة وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٢٢) قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣) قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ (٢٤) قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ (٢٥) ﴾ [سورة الأعراف]

كما قال فى الآية الأخرى : ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ (٥٥) ﴾ [سورة طه]

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (٢٦) وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ (٢٧) وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (٢٨) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٢٩) فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٣٠) إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣١) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلاَّ تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣٢) قَالَ لَمْ أَكُن لأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (٣٣) قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٣٤) وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ (٣٥) قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٣٦) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ (٣٧) إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (٣٨) قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٤٠) قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ (٤١) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ (٤٢) وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ (٤٣) لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ (٤٤) ﴾ [سورة الحجر]

وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ

قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا (٦١) قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا (٦٢) قَالَ اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَّوْفُورًا (٦٣) وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا (٦٤) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا (٦٥) ﴾ [سورة الإسراء] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا (٥٠) ﴾ [سورة الكهف]

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا (١١٥) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ (١١٦) فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ (١١٧) إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ (١١٨) وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ (١١٩) فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ (١٢٠) فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ (١٢١) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ (١٢٢) قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ (١٢٦) ﴾ [سورة طه]

وقال تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ (٦٧) أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ (٦٨) مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ (٦٩) إِن يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٧٠) إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٧٢) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٧٣) إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٧٤) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ (٧٥) قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ (٧٦) قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٧٧) وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ (٧٨) قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٧٩) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ (٨٠) إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (٨١) قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٨٣) قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ (٨٤) لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٥) قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ (٨٦) إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ (٨٧) وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ (٨٨) ﴾ [سورة ص]

فهذا ذكر هذه القصة من مواضع متفرقة من القرآن ، ولنذكر هاهنا مضمون مادلت عليه هذه الآيات الكريمات، وما يتعلق بها من الأحاديث الواردة فى ذلك عن رسول الله ﷺ، والله المستعان.

فأخبر تعالى أنه خاطب الملائكة قائلا لهم : ﴿إنى جاعل فى الأرض خليفة﴾ أعلم بما يريد أن يخلق من آدم وذريته الذين يخلف بعضهم بعضا كما قال : "وهو الذى جعلكم خلائف الأرض" وقال : ﴿ ويجعلكم خلفاء الأرض﴾ فأخبرهم بذلك على سبيل التنويه بخلق آدم وذريته، كما يخبر بالأمر العظيم قبل كونه، فقالت الملائكة سائلين على وجه الاستكشاف والاستعلام عن وجه الحكمة

لا على وجه الاعتراض والتنقص لبنى آدم والحسد لهم، كما قد يتوهمه بعض جهلة المفسرين، قالوا : ﴿ أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ؟ ﴾ .

قيل علموا ذلك كائن بما رأوا ممن كان قبل آدم من الجن، قاله قتادة.

وقال عبد الله بن عمر : كانت الجن قبل آدم بألفى عام فسفكوا الدماء ، فبعث الله إليهم جندا من الملائكة فطردوهم إلي جزائر البحور.

وعن ابن عباس نحوه : وعن الحسن ألهموا ذلك.

وقيل : لما اطلعوا عليه من اللوح المحفوظ، فقيل أطلعهم عليه هاروت وماروت عن ملك فوقهما يقال له السجل. رواه ابن أبى حاتم عن أبى جعفر الباقر.

وقيل : لأنهم علموا أن الأرض لايخلف منها إلا من يكون بهذه المثابة غالبا.

﴿ ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ﴾ أى نعبدك دائما لا يعصيك منا أحد، فإن كان المراد بخلق هؤلاء أن يعبدوك فهانحن لانفتر ليلا ولا نهارا.

﴿ قال إنى أعلم مالا تعلمون ﴾ أى أعلم من المصلحة الراجحة في خلق هؤلاء ما لاتعلمون ، أى سيوجد منهم الأنبياء والمرسلون والصديقون والشهداء والصالحون.

ثم بين لهم شرف آدم عليهم فى العلم فقال: ﴿ وعلم آدم الأسماء كلها ﴾ . قال ابن عباس : هى هذه الأسماء التى يتعارف بها الناس: إنسان، ودابة، وأرض، وسهل، وبحر، وجبل، وجمل، وحمار، وأشباه ذلك من الأمم وغيرها.

وقال مجاهد : علمه اسم الصحفة ، والقدر، حتى الفسوة والفسية.

وقال مجاهد: علمه اسم كل دابة، وكل طير وكل شيء. وكذا قال سعيد بن جبير وقتادة وغير واحد.

وقال الربيع : علمه أسماء الملائكة. وقال عبد الرحمن بن زيد: علمه أسماء ذريته.

والصحيح : أنه علمه أسماء الذوات وأفعالها مكبرها ومصغرها، كما أشار إليه ابن عباس رضى الله عنهما.

وذكر البخارى[١] هنا ما رواه هو ومسلم من طريق سعيد وهشام عن قتادة، عن أنس ابن مالك، عن رسول الله ﷺ قال :« يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون لو استشفعنا إلى ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا فيأتون آدم فيقولون أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، وأسجد لك الملائكة، وعلمك أسماء كل شيء» وذكر تمام الحديث.

« ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين».

قال الحسن البصرى : لما أراد الله خلق آدم، قالت الملائكة: لا يخلق ربنا خلقا إلا كنا أعلم منه فابتلوا بهذا وذلك قوله : «إن كنتم صادقين».

وقيل غير ذلك .

قالوا : ﴿ سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ﴾ أى سبحانك أن يحيط أحد بشيء من علمك من غير تعليمك، كما قال : ﴿ ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء ﴾ .

(١) هذا الحديث يثبت أن آدم أبو البشر ويثبت الشفاعة للمؤمنين .

﴿ قال يا آدم أنبئهم بأسماء . فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إنى أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ماتبدون وما كنتم تكتمون ؟ ﴾ أى أعلم السر كما أعلم العلانية.

وقيل أن المراد بقوله : ﴿ أعلم ماتبدون ﴾ ماقالوا: ﴿ أتجعل فيها من يفسد فيها ﴾ ، وبقوله : ﴿ وما كنتم تكتمون ﴾ المرا بهذا الكلام إبليس حين أسر الكبر والتخيرة[١] على آدم عليه السلام. قال سعيد بن جبير ومجاهد والسدى والضحاك والثورى واختار ابن جرير.

وقال أبو العالية والربيع والحسن وقتادة :﴿ وما كنتم تكتمون ﴾ قولهم : لن يخلق ربنا خلقا إلا كنا أعلم وأكرم عليه منه.

وقوله : ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر ﴾ هذا إكرام عظيم من الله تعالى لآدم حين خلقه بيده، ونفخ فيه من روحه، كما قال : ﴿ فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين ﴾ فهذه أربع تشريفات: خلقه الله بيده الكريمة، ونفخه من روحه، وأمر الملائكة بالسجود له، وتعليمه أسماء الأشياء.

ولهذا قال له موسى الكليم حين اجتمع هو وإياه فى الملأ الأعلى وتناظرا كما سيأتى : أنت آدم أبو البشر الذي خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شىء. وهكذا يقول له أهل المحشر يوم القيامة كما تقدم، وكما سيأتى إن شاء الله تعالى .

وقال فى الآية الأخرى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ

(١) رأى والخيرية .

مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ (١٢) ﴾ [سورة الأعراف]

وقال الحسن البصرى : قاس إبليس، وهو أول من قاس. وقال محمد بن سيرين : أول من قاس إبليس، وما عبدت الشمس ولا القمر إلا بالمقاييس، رواهما ابن جرير.

ومعنى هذا أنه نظر نفسه بطريق المقايسة بينه وبين آدم، فرأى نفسه أشرف من آدم فامتنع من السجود له، مع وجود الأمر له ولسائر الملائكة بالسجود. والقياس إذا كان مقابلا بالنص كان فاسد الاعتبار. ثم هو فاسد فى نفسه، فإن الطين أنفع وخير من النار، لأن الطين فيه الرزانة والحلم والأناة والنمو، والنار فيها الطيش والخفة والسرعة والإحراق.

ثم آدم شرفه الله بخلقه له بيده ونفخه فيه من روحه، ولهذا أمر الملائكة بالسجود له، كما قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (٢٨) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٢٩) فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٣٠) إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣١) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلاَّ تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣٢) قَالَ لَمْ أَكُن لأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (٣٣) قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٣٤) وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ (٣٥) ﴾[سورة الحجر]

استحق هذا من الله تعالى لأنه استلزم تنقصه لآدم وازدراءه به وترفعه عليه مخالفة الأمر الإلهى ، ومعاندة الحق فى النص على آدم على التعيين، وشرع فى الاعتذار بما لايجدى عنه شيئا، وكان اعتذاره أشد من ذنبه.

كما قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا (٦١) قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلاً (٦٢) قَالَ اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَّوْفُورًا (٦٣) وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا (٦٤) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلاً (٦٥) ﴾ [سورة الإسراء]

وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً (٥٠) ﴾ [سورة الكهف]

أى خرج عن طاعة الله عمدا وعنادا واستكبارا عن امتثال أمره، وما ذاك إلا لأنه خانه طبعه ومادته الخبيثة أحوج ماكان إليها، فإنه مخلوق من نار كما قال، وكما جاء فى صحيح مسلم عن عائشة عن رسول الله ﷺ قال : ﴿ خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم ﴾[1] .

قال الحسن البصرى : لم يكن إبليس من الملائكة طرفة عين قط. وقال شهر بن حوشب: كان من الجن ، فلما أفسدوا فى الأرض بعث الله إليهم جندا من الملائكة فقاتلوهم وأجلوهم إلى جزائر البحار، وكان إبليس ممن أسر فأخذوه معهم إلى السماء فكان هناك، فلما أمرت الملائكة بالسجود امتنع إبليس منه.

---

(١) رواه البخارى (٩٧ / ١٩ / ٧٤١٠ / فتح) ، ومسلم (١ / ٨٤ / ٣٢٢) ، والترمذى (٣٨/١٠/٣٢٣٤).

وقال ابن مسعود وابن عباس وجماعة من الصحابة وسعيد بن المسيب وآخرون: كان إبليس رئيس الملائكة بالسماء الدنيا. قال ابن عباس : وكان اسمه عزازيل، وفى رواية عنه : الحارث . قال النقاش: وكنيته أبو كردوس. قال ابن عباس : وكان من حى من الملائكة يقال لهم الجن، وكانوا خزان الجنان، وكان من أشرفهم ومن أكثرهم علما وعبادة، وكان من أولى الأجنحة الأربعة فمسخه الله شيطانا رجيما.

وقال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٧٢) فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٧٣) إِلاَّ إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٧٤) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ (٧٥) قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ (٧٦) قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٧٧) وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ (٧٨) قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٧٩) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ (٨٠) إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (٨١) قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٨٣) قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ (٨٤) لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٥) ﴾ [سورة ص]

وقال تعالى: ﴿ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (١٧) ﴾ [سورة الأعراف]

أى بسبب إغوائك إياى لأقعدن لهم كل مرصد، ولآتينهم من كل جهة منهم، فالسعيد من خالفه والشقى من اتبعه.

وقال الإمام أحمد حدثنا هاشم بن القاسم، حدثنا أبو عقيل- هو عبد الله بن عقيل الثقفى - حدثنا موسى بن المسيب، عن سالم بن أبى الجعد، عن سبرة بن أبى الفاكه قال : سمعت رسول الله ﷺ قال : «إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه»[(١)] . وذكر الحديث كما قدمناه فى صفة إبليس.

وقد اختلف المفسرون فى الملائكة المأمورين بالسجود لآدم.

أهم جميع الملائكة كما دل عليه عموم الآيات ؟ وهو قول الجمهور.

أو المراد بهم ملئكة الأرض كما رواه ابن جرير من طريق الضحاك عن ابن عباس؟ وفيه انقطاع وفى السياق نكارة، وإن كان بعض المتأخرين قد رجحه.

ولكن الأظهر من السياقات الأولى، ويدل عليه الحديث: ﴿ **واسجد له ملائكته** ﴾ وهذا عموم أيضا ، والله أعلم.

وقوله تعالى لإبليس : ﴿ **اهبط منها** ﴾ و ﴿ **اخرج منها** ﴾ دليل على أنه كان فى السماء فأمر بالهبوط منها، والخروج من المنزلة والمكانة التى قد نالها بعبادته، وتشبهه بالملائكة فى الطاعة والعبادة، ثم سلب ذلك بكبره وحسده ومخالفه لربه. فأهبط إلى الأرض مذموما مدحورا .

وأمر الله آدم عليه السلام أن يسكن هو وزوجته الجنة فقال : ﴿ **وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين** ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ **قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ (١٨) وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلا**

(١) رواه النسائى (٦/٢١ ، ٢٢) فى المجتبى ، وأحمد فى المسند (٣/٤٨٣ /حلبى) .

مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (١٩) ﴾ [سورة الأعراف]

وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ (١١٦) فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ (١١٧) إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَىٰ (١١٨) وَأَنَّكَ لا تَظْمَأُ فِيهَا وَلا تَضْحَىٰ (١١٩) ﴾ [سورة طه]

وسياق هذه الآيات يقتضى أن خلق حواء كان قبل دخول آدم إلي الجنة لقوله : ﴿ وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ... (١٩) ﴾ وهذا قد صرح به اسحق بن يسار وهو ظاهر هذه الآيات.

ولكن حكى السدى عن أبى صالح وأبى مالك، عن ابن عباس عن مرة عن ابن مسعود، وعن ناس من الصحابة أنهم قالوا: أخرج إبليس من الجنة وأسكن آدم الجنة، فكان يمشى فيها وحشى ليس له فيها زوج يسكن إليها، فنام نومه فأستيقظ وعند رأسه امرأة قاعدة خلقها الله من ضلعه. فسألها ما أنت؟ قالت : امرأة قال ولم خلقت ؟ قالت: لتسكن إلي ، فقالت له الملائكة ينظرون مابلغ من علمه: ما أسمها يا آدم؟ قال : حواء ، قالوا : ولم كانت حواء؟ قال : لأنها خلقت من شيء حي.

وذكر محمد بن إسحاق عن ابن عباس أنها خلقت من ضلعه الأقصر الأيسر وهو نائم ولأم مكانه لحما.

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه (٢٩٩٦/١٠/٥٣). ورواه أحمد فى مسنده (١٦٨/٦ حلبى). ورواه البيهقى فى سننه (٣/٩ حيدر آباد). ورواه ابن عساكر فى تاريخه (٢ك ٢٤٣ تهذيب).

ومصداق هذا فى قوله تعالى : ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة، وخلق منها زوجها، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ..﴾ الآية . وفى قوله تعالى : ﴿هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها، فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به . . .﴾ الآية .

وفى الصحيحين من حديث زائدة، عن ميسرة الأشجعى ، عن أبى حازم عن أبى هريرة عن النبى ﷺ أنه قال : « استوصوا بالنساء خيرا، فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج شىء فى الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيرا »[1] . هذا لفظ البخارى.

وقد اختلف المفسرون فى قوله تعالى : ﴿ولا تقربا هذه الشجرة﴾ فقيل هى الكرم، وروى عن ابن عباس وسعيد بن جبير والشعبى وجعدة بن هبيرة، ومحمد بن قيس والسدى فى رواية عن ابن عباس وابن مسعود وناس من الصحابة : قال : وتزعم يهود أنها الحنطة، وهذا مروى عن ابن عباس والحسن البصرى ووهب بن منبه وعطية العوفى، وأبى مالك ومحارب بن دثار، وعبد الرحمن بن أبى ليلى.

---

(١) رواه البخارى (٦٠/١/٣٣٣١ ، ٥١٨٤-٥١٨٦-فتح البارى).

ورواه مسلم فى صحيحه من نفس طريق البخارى ()١٧/١٨/١٤٦٨) ولكن بلفظ «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فإذا أشهد امرا فليتكلم بخير أو ليسكت. واستوصوا بالنساء... وذكر تمام الحديث».

ورواه الترمذى فى سننه بنحوه (١٠/١١/١١٦٣). ورواه ابن ماجه بنحوه أيضا من نفس طريق الترمذى (٩/٣/١٨٥١) من طريق عمرو بن الأخوص ولفظه «استوصوا بالنساء خيرا فإنهن عندكم عوان. ليس تملكون منهن شيئا غير ذلك. إلا أن يأتين بفاحشة مبينة.. إلى آخره. أ.هـ.

وقال وهب : والحبة منه ألين من الزبد وأحلى من العسل.

وقال الثورى عن أبى حصين ، عن أبى مالك : «ولا تقربا هذه الشجرة» هى النخلة. وقال ابن جريج عن مجاهد: هى التينة، وبه قال قتادة وابن جريج. وقال أبو العالية: كانت شجرة من أكل منها أحدث ولا ينبغى فى الجنة حدث.

وهذا الخلاف قريب، وقد أبهم الله ذكرها وتعيينها، ولو كان فى ذكرها مصلحة تعود إلينا لعينها لنا كما فى غيرها من المحال التى تبهم فى القرآن. وإنما الخلاف الذى ذكروه فى أن هذه الجنة التى أدخلها آدم: هل هى فى السماء أو فى الأرض، هو الخلاف الذي ينبغى فصله والخروج منه.

والجمهور على أنها هى التى فى السماء وهى جنة المأوى، لظاهر الآيات والأحاديث كقوله تعالى : ﴿ وقلنا يا آدم أسكن أنت وزوجك الجنة ﴾ والألف واللام ليست للعموم ولا لمعهود لفظى، وإنما تعود على معهود ذهنى، وهو المستقر شرعا من جنة المأوى، وكقول موسى عليه السلام :«علام أخرجتنا ونفسك من الجنة؟...» الحديث كما سيأتى الكلام عليه.

وروى مسلم فى صحيحه من حديث أبى مالك الأشجعى - واسمه سعد بن طارق عن أبى حازم سلمة بن دينار، عن أبى هريرة، وأبو مالك عن ربعى، عن حذيفة قالا: قال رسول الله ﷺ : «يجمع الله الناس فيقوم المؤمنون حين تزلف لهم الجنة. فيأتون آدم فيقولون: يا أبانا استفتح لنا الجنة. فيقول : وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم؟»[1] وذكر الحديث بطوله.

وهذا فيه قوة جيدة ظاهرة فى الدلالة على أنها جنة المأوى، وليست تخلو عن نظر.

---

(١) الحديث رواه مسلم فى صحيحه (١/٨٤/١٩٥).

وقال آخرون : بل الجنة التى أسكنها آدم لم تكن جنة الخلد، لأنه كلف فيها ألا يأكل من تلك الشجرة، ولأنه نام فيها وأخرج منها، ودخل عليه إبليس فيها، وهذا مما ينافى أن تكون جنة المأوى.

وهذا القول محكى عن أبى بن كعب، وعبد الله بن عباس ووهب بن منبه وسفيان بن عيينة، واختاره ابن قتيبة فى (المعارف)، والقاضي منذر بن سعيد البلوطى فى تفسيره وأفرد له مصنفا على حدة. وحكاه عن أبى حنيفة الإمام وأصحابه رحمهم الله. ونقله أبو عبد الله محمد ابن عمر الرازى بن خطيب الرى في تفسيره عن أبى القاسم البلخى وأبى مسلم الأصبهانى ونقله القرطبى فى تفسيره عن المعتزلة والقدرية.

وهذا القول هو نص التوراة التى بأيدى أهل الكتاب وممن حكى الخلاف فى هذه المسألة أبو محمد بن حزم فى الملل والنحل، وأبو محمد بن عطية فى تفسيره وأبو عيسى الرمانى فى تفسيره، وحكى عن الجمهور الأول، وأبو القاسم الراغب والقاضى الماوردى فى تفسيره فقال : واختلف فى الجنة التى أسكناها يعنى آدم وحواء على قولين : أحدهما أنها جنة الخلد. الثانى أنها جنة أعدها الله وجعلها دار ابتلاء، وليست جنة الخلد التى جعلها دار جزاء.

ومن قال بهذا اختلفوا على قولين : أحدهما أنها فى السماء لأنه أهبطهما منها، وهذا قول الحسن، والثانى أنها فى الأرض لأنه امتحنهما فيها بالنهى عن الشجرة التى نهيا عنها دون غيرها من الثمار. وهذا قول ابن يحيى. وكان ذلك بعد أن أمر إبليس بالسجود لآدم، والله أعلم بالصواب من ذلك.

هذا كلامه. فقد تضمن كلامه حكاية أقوال ثلاثة، وأشعر من كلامه أنه متوقف فى المسألة. ولهذا حكى أبو عبد الله الرازى فى تفسيره فى هذه المسألة

أربعة أقوال: هذه الثلاثة التى أوردها الماوردى، ورابعها، الوقف وحكى القول بأنها فى السماء وليست جنة المأوى ، عن أبى على الجبائى.

وقد أورد أصحاب القول الثانى سؤالا يحتاج مثله إلى جواب ، فقالوا: لاشك أن الله سبحانه وتعالى طرد إبليس حين امتنع من السجود عن الحضرة الإلهية، وأمره بالخروج عنها والهبوط منها وهذا الأمر ليس من الأوامر الشرعية بحيث يمكن مخالفته، وإنما هو أمر قدرى لايخالف ولايمانع ، ولهذا قال : ﴿ اخرج منها مذءوما مدحورا ﴾ . وقال : ﴿ اهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها ﴾ وقال : ﴿ اخرج منها فإنك رجيم ﴾ . والضمير عائد إلى الجنة أو السماء أو المنزلة. وأيا ماكان فمعلوم أنه ليس له السكون قدرا فى المكان الذى طرد عنه وأبعد منه، لا على سبيل الاستقرار ولا على سبيل المرور والاجتياز.

قالوا : معلوم من ظاهر سياقات القرآن أنه وسوس لآدم وخاطبه بقوله : ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ (١٢٠) ﴾ [سورة طه]

ويقول : ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ (٢٠) وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ (٢١) فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٢٢) ﴾ [سورة الأعراف]

وهذا ظاهر فى اجتماعه معهما فى جنتهما.

وقد أجيبوا عن هذا بأنه لايمتنع أن يجتمع بهما فى الجنة على سبيل المرور فيها لا على سبيل الاستقرار بها، وأنه وسوس لهما وهو على باب الجنة أو من تحت السماء.

وفى الثلاثة نظر، والله أعلم.

ومما احتج به أصحاب هذه المقال: مارواه عبد الله بن الإمام أحمد فى الزيادات عن هدبة بن خالد ، بن حماد بن سلمة، عن حميد ، عن الحسن البصرى، عن يحيى بن ضمرة السعدى ، عن أبى بن كعب ، قال : إن آدم لما احتضر اشتهى قطفا من عنب الجنة ، فانطلق بنوه ليطلبوه له ، فلقيتهم الملائكة فقالوا : أين تريدون يا بنى آدم ؟ فقالوا : إن أبانا قد اشتهى قطفا من عنب الجنة ، فقالوا لهم : ارجعوا فقد كفيتموه . فانتهوا إليه فقبضوا روحه وغسلوه وحنطوه وكفنوه وصلى عليه جبريل ومن خلفه الملائكة ودفنوه ، وقالوا : هذه سنتكم فى موتاكم.

وسيأتى الحديث بسنده، وتمام لفظه عند ذكر وفاة آدم عليه السلام.

قالوا: فلولا أنه كان الوصول إلى الجنة التى كان فيها آدم التى اشتهى منها القطف ممكنا، لما ذهبوا يطلبون ذلك، فدل على أنها فى الأرض لا فى السماء والله تعالى أعلم.

قالوا: والاحتجاج بأن الألف واللام فى قوله : ﴿ **ويا آدم أسكن أنت وزوجك الجنة** ﴾ لم يتقدم عهد يعود عليه فهو المعهود الذهنى مسلم، ولكن هو مادل عيه سياق الكلام، فإن آدم خلق من الأرض ولم يقل أنه رفع إلى السماء، وخلق ليكون فى الأرض، وبهذا أعلم الرب الملائكة حيث قال: ﴿ **إنى جاعل فى الأرض خليفة** ﴾ .

قالوا وهذا قوله تعالى : ﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ (١٧) ﴾ [سورة القلم]

فالألف واللام ليس للعموم ، ولم يتقدم معهود لفظى، وإنما هما للمعهود الذهنى الذي دل عليه السياق وهو البستان.

قالوا: وذكر الهبوط لايدل على النزول من السماء.

قال الله تعالى :

﴿ قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤٨) ﴾ [هود]

وإنما كان فى السفينة حين استقرت على الجودى ونضب الماء عن وجه الأرض أمر أن يهبط إليها هو ومن معه مباركا عليه وعليهم.

وقال الله تعالى : ﴿ اهبطوا مصرا فإن لكم ما سألتم ﴾

وفى الأحاديث واللغة من هذا كثير.

قالوا: ولامانع – بل هو الواقع– أن الجنة التى أسكنها آدم كانت مرتفعة عن سائر بقاع الأرض، ذات أشجار وثمار وظلال ونعيم ونضرة وسرور، كما قال تعالى : ﴿ إن لك أن لاتجوع فيها ولا تعرى ﴾ .

أى لايذل باطنك بالجوع ولا ظهرك بالعرى ﴿ وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى ﴾ أى لايمس باطنك حر الظمأ ولا ظهرك حر الشمس، ولهذا قرن بين هذا وهذا، وبين هذا وهذا، لما بينهما من الملاءمة.

فلما كان منه ماكان من أكله من الشجرة التى نهى عنها، أهبط إلى أرض الشقاء والتعب والنصب والكدر والسعى والنكد، والابتداء والاختبار

والامتحان، واختلاف السكان دينا وأخلاقا وأعمالا، وقصودا وارادات وأقوالا وأفعالا، كما قال تعالى : ﴿ ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين ﴾.

ولايلزم من هذا أنهم كانوا فى السماء كما قال : ﴿ وقلنا من بعده لبنى إسرائيل اسكنوا الأرض، فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا ﴾ ، ومعلوم أنهم كانوا فيها ولم يكونوا فى السماء.

قالوا : وليس هذا القول مفرعا على قول من ينكر وجود الجنة والنار اليوم ولا تلازم بينهما، كل من حكى عنه هذا القول من السلف وأكثر الخلف، ممن يثبت وجود الجنة والنار اليوم، كما دلت عليه الآيات الصحاح والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب.

وقوله تعالى : ﴿ فأزلهما الشيطان عنها ﴾ أى عن الجنة ﴿ فأخرجهما مما كان فيه ﴾ أى من النعيم والنضرة والسرور إلي دار التعب والكد والنكد، وذلك بما وسوس لهما وزينه فى صدورهما، كما قال تعالى : ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ (٢٠) ﴾ [سورة الأعراف] ، يقول مانهاكما عن أكل هذه الشجرة إلا أن تكونا من الخالدين، أى لو أكلتما منها لصرتما كذلك.

﴿ وقاسمهما ﴾ أى حلف لهما على ذلك ﴿ إنى لكما لمن الناصحين ﴾ ، كما قال فى الآية الأخرى ﴿ فوسوس إليه الشيطان ، قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ؟ ﴾ : أى هل أدلك على الشجرة التى إذا أكلت منها حصل لك الخلد فيما أنت فيه من النعيم، واستمررت فى ملك لايبيد ولا ينقضى ؟ وهذا من التغرير والتزوير والإخبار بخلاف الواقع.

والمقصود أن قوله شجرة الخلد إذا أكلت منها خلدت، وقد تكون هى الشجرة التى قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمن بن مهدى، حدثنا شعبة عن أبى الضحاك، سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ : «إن فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها: شجرة الخلد»[١] .

وكذلك رواه أيضا عن غندر وحجاج، عن شعبة ورواه أبو داود الطيالسى فى مسنده عن شعبة أيضا به.

قال غندر: قلت لشعبة : هى شجرة الخلد ؟ قال ليس فيها هى.

تفرد به الإمام أحمد.

وقوله : ﴿فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما ، وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة﴾ كما قال فى سورة طه ﴿فأكلا منها فبدت لهما سؤاتهما ، وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة﴾ وكانت حواء أكلت من الشجرة قبل آدم، وهى التى حدته على أكلها، والله أعلم.

وعليه يحمل[٢] الحديث الذي رواه البخارى : حدثنا بشر بن محمد حدثنا عبد الله، أنبأنا معمر، عن همام بن منبه، عن أبى هريرة عن النبى ﷺ نحوه:

---

(١) رواه أحمد فى مسنده واللفظ له (٢/٤٥٥/حلمى) . ورواه الدارمى فى سننه (٢٠/١١٤/٢٨٤٢). ورواه البخارى فى صحيحه (٥٩/٨/٣٢٥١/فتح). وليس فيه لفظة «شجرة الخلد». ورواه أيضا فى (٦٥/٥٦/٢/٤٨٨١) فتح) ونهايته «واقرءوا إن شئتم (وظل ممدود)، ورواه مسلم فى صحيحه (٥١/١/٢٨٩٢٦) وليس فيه لفظة «شجرة الخلد» ورواه الترمذى فى سننه (٢٩/١/٢٥٢٣). ورواه ابن ماجة في سننه (٣٧/٣٩/٤٣٣٥).

(٢) رواه البخارى (٦٠/١/٣٣٠/فتح). ورواه مسلم فى صحيحه (١٧/١٩/١٤٧٠). ورواه أحمد فى مسنده (٢/٣٠٤/٣١٥)حلبى).

«لولا بنو إسرائيل لم يخنز[1] اللحم، ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها».

تفرد به من هذا الوجه. وأخرجاه في الصحيحين من حديث عبد الرزاق، عن معمر، عن همام، عن أبى هريرة به، ورواه أحمد ومسلم عن هارون بن معروف، عن أبى وهب، عن عمر، بن الحارث عن أبى يونس، عن أبى هريرة به.

وفى كتاب التوراة التى بأيدى أهل الكتاب أن الذى دل حواء على الأكل من الشجرة هى الحية، وكانت من أحسن الأشكال وأعظمها، فأكلت حواء عن قولها وأطعمت آدم عليه السلام، وليس فيها ذكر لإبليس فعند ذلك انفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان، فوصلا من ورق التين وعملا مآزرا، وفيها أنهما كانا عريانين، وكذا قال وهب بن منبه: كان لباسهما نورا على فرجه وفرجها.

وهذا الذى فى هذه التوراة التى بين أيديهم غلط منهم، وتحريف وخطأ فى التعريف ، فإن نقل الكلام من لغة إلى لغة لايتيسر لكل أحد، ولاسيما ممن لايكاد يعرف كلام العرب جيدا، ولا يحيط علما بفهم كتابه أيضا، فلهذا وقع في تعريبهم لها خطأ كثير لفظا ومعنى.

وقد دل القرآن العظيم على أنه كان عليهما لباس فى قوله : ﴿ ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما ﴾ فهذا لايرد لغيره من الكلام. والله تعالى أعلم.

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا على بن الحسن بن أسكاب، حدثنا على بن عاصم، عن سعيد بن أبى عروبة، عن قتادة ، عن الحسن عن أى بن كعب قال : قال رسول الله ﷺ «إن الله خلق آدم رجلا طوالا كثير شعر الرأس كأنه نخلة سحوق، فلما ذاق الشجرة سقط عنه لباسه، فأول ما بدا منه عورته، فلما نظر

(١) خنز اللحم : فسد وأنتن.

إلى عورته جعل يشتد فى الجنة، فأخذت شعره شجرة فنازعها، فناداه الرحمن عز وجل : يا آدم منى تفر؟ فلما سمع كلام الرحمن قال : يارب لا ، ولكن استحياء»[1] .

وقال الثورى عن ابن أبى ليلى ، عن المنهال بن عمر، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ﴿ **وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة** ﴾ ورق التين.

وهذا إسناد صحيح إليه وكأنه مأخوذ من أهل الكتاب، وظاهر الآية يقتضى أعم من ذلك، وبتقدير تسليمه فلا يضر، والله أعلم.

وروى الحافظ ابن عساكر من طريق محمد بن إسحاق، عن الحسن بن ذكوان، عن الحسن البصرى عن أبى بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ : «إن أباكم كان كالنخلة السحوق، ستون ذراعا كثير الشعر موارى العورة، فلما أصاب الخطيئة فى الجنة بدت له سوآته، فخرج من الجنة، فلقيته شجرة فأخذت بناصيته، فناداه ربه : أفرارا منى يا آدم؟ قال : بل حياء منك يارب مما جئت به»[2] .

ثم رواه من طريق سعيد بن أبى غروبة، عن قتادة ، عن الحسن، عن يحيى بن ضمرة، عن أبي بن كعب، عن النبى ﷺ بنحوه.

---

(١) رواه ابن سعد فى الطبقات الكبرى (١/١/٩- تحرير) وفيه : على بن عاصم بن صهيب الواسطى ، التميمى موالهم، صدوق يخطئ، ويصر ورمى بالتشيع، من التاسعة وقال الذهبى حافظ مشهور، ضعفوه. وكان مكثرا، مات سنة إحدى ومائتين، وقد جاوز التسعين .

تقريب التهذيب (٢/٣٩/٣٦٦) المغنى فى الضعفاء للذهبى (٢ك ٤٥٠/٤٢٩٠).

(٢) رواه الطبرى في تاريخه (١/١٦٠/معارف). ورواه ابن عساكر (٢/٣٥١/تهذيب التاريخ). ورواه ابن سعد فى الطبقات الكبرى (١/٩ ، ١٠/التحرير).

وهذا أصح، فإن الحسن لم يدرك أبيا.

ثم أورده أيضا من طريق خيثمة بن سليمان الأطرابلسى ، عن محمد بن عبد الوهاب أبى مرصافة العسقلانى، عن آدم بن أبى إياس، عن سنان عن قتادة عن أنس مرفوعا بنحوه.

﴿ وناداهما ربهما عن تلكما الشجرة، وأقل لكما أن الشيطان لكما عدو مبين؟ قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ﴾ .

وهذا اعتراف ورجوع إلى الإنابة، وتذلل وخضوع واستكانة، وافتقار إليه تعالى فى الساعة الراهنة، وهذا السر ماسرى فى أحد من ذريته إلا كانت عاقبته إلى خير فى دنياه وأخراه.

﴿ **وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ** (٣٦) ﴾ وهذا خطاب لآدم وإبليس، قيل والحية معهم، أمروا أن يهبطوا من الجنة فى حال كونهم متعادين متحاربين.

وقد يستشهد لذكر الحية معهما بما ثبت فى الحديث عن رسول الله ﷺ أنه أمر بقتل الحيات، وقال : «ما سالمناهن منذ حاربناهن[1] .

وقوله فى سورة طه : ﴿ **قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ** (١٢٣) ﴾ هو أمر لآدم وإبليس واستتبع أدم حواء وإبليس الحية.

---

(١) رواه الطبرى في تاريخه (١/١٦٠/معارف). ورواه ابن عساكر (٢/٣٥١/تهذيب التاريخ). ورواه ابن سعد فى الطبقات الكبرى (١/٩ . ١٠/التحرير).

وقيل هو أمر لهم بصيغة التثنية كما فى قوله تعالى: ﴿ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ (٧٨) ﴾ . سورة الأنبياء – الآية ٧٨).

والصحيح أن هذا لما كان الحاكم لا يحكم إلا بين اثنين مدع ومدعى عليه: قال :﴿ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴾.

وأما تكريره الإهباط فى سورة البقرة فى قوله : ﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ (٣٦) فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (٣٧) قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٨) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٣٩) ﴾

فقال بعض المفسرين :المراد بالإهباط الأول: الهبوط من الجنة إلى السماء الدنيا، والثانى:من السماء الدنيا إلى الأرض.

وهذا ضعف لقوله فى الأول : ﴿ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ (٣٦) ﴾ فدل على أنهم اهبطوا إلي الأرض بالاهباط الأول والله أعلم.

والصحيح أنه كرره لفظا وإن كان واحدا، وناط مع كل مرة حكما، فناط بالأول عداوتهم فيما بينهم، وبالثانى الاشتراط عليهم أن من تبع هداه الذي ينزله عليهم بعد ذلك فهو السعيد، ومن خالفه فهو الشقى، وهذا الأسلوب فى الكلام له نظائر فى القرآن الحكيم.

وروى الحافظ ابن عساكر عن مجاهد قال : أمر الله ملكين أن يخرجا آدم وحواء من جواره فنزع جبريل التاج عن رأسه، وحل ميكائيل الإكليل عن جبينه، وتعلق به غصن ، فظن آدم أنه قد عوجل بالعقوبة ، فنكس رأسه يقول : العفو العفو، فقال الله [1]: أفرارا مني؟ قال : بل حياء منك يا سيدى!.

وقال الأوزاعى عن حسان - هو ابن عطية- مكث آدم في الجنة مائة عاما، وفى رواية ستين عاما، وبكى على الجنة سبعين عاما، وعلى خطيئته سبعين عاما، وعلى ولده حين قتل أربعين عاما. رواه ابن عساكر.

وقال ابن أبى حاتم: حدثنا أبو زرعة، حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا جرير، عن سعيد، عن ابن عباس قال : أهبط آدم عليه السلام إلي الأرض يقال لها«دحنا» بين مكة والطائف.

وعن الحسن قال : أهبط آدم بالهند، وحواء بجدة، وإبليس بدستميان من البصرة على أميال، وأهبطت الحية بأصبهان[2] . رواه ابن أبي حاتم أيضا.

وقال السدى : نزل آدم بالهند ونزل معه الحجر الأسود وبقبضة من ورق

---

(١) هذا الأثر رواه سعد فى الطبقات الكبرى مطولا (١/١/١٢/تحرير).

(٢) رواه مسلم فى صحيحه (٨٥٤/٥/٧) والزيادة من طريق قتيبة بن سعد وزيادته:«ولاتقوم الساعة إلا فى يوم الجمعة» ورواه أحمد في مسنده من غير زيادة ورواه أيضا بزيادة على رواية مسلم وهى : «وفيه ساعة يوافقها مؤمن يصلى وقبض أصابعه يقللها يسأل الله عز وجل إلا أعطاه إياه. ورواه أبو داود الطيالسى . ورواه أبو داو فى سننه نحو من طريق أبى هريرة ولفظه «خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة من حيث تصبح حتى تطلع الشمس شفقا من الساعة إلا الجن والإنس وفيه تقوم ساعة. لايصادفها عبد مسلم وهو يصلي يسأل الله عز وجل حاجة إلا أعطاه إياها أ.هـ. ورواه الطبرى فى تاريخه . ورواه زيضا الترمذى والنسائى والدارمى فى سننه وابن ماجه بنحوه.

الجنة، فبثه فى الهند فنبت شجرة الطيب هناك.

وعن ابن عمر قال : أهبط آدم بالصفا، وحواء بالمروة. رواه ابن أبى حاتم أيضا.

وقال عبد الرزاق : قال معمر: أخبرى عوف، عن قسامة بن زهير، عن أبى موسى الأشعرى، قال : أن الله حين أهبط آدم من الجنة إلي الأرض علمه صنعة كل شيء وزوده من ثمار الجنة، فثماركم هذه من ثمار الجنة، غير أن هذه تتغير وتلك لاتتغير.

وقال الحاكم فى مستدركه : أنبأنا أبو بكر بن بالويه، عن محمد بن أحمد بن النضر، عن معاوية بن عمرو، عن زائدة، عن عمار بن أبى معاوية البجلى عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: ما أسكن آدم الجنة إلا مابين صلاة العصر إلى غروب الشمس.

ثم قال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

وفى صحيح مسلم من حديث الزهرى عن الأعرج ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ «خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة: فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها» . وفى الصحيح من وجه آخر: «وفيه تقوم الساعة».

وقال أحمد : حدثنا محمد بن مصعب، حدثنا الأوزاعى، عن أبي عمار، عن عبد الله ابن فروخ، عن أبى هريرة ، عن النبى ﷺ قال: «خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها، وفيه تقوم الساعة». على شرط مسلم.

فأما الحديث الذي رواه ابن عساكر من طريق أبى قاسم البغوى، حدثنا محمد بن جعفر الوركانى، حدثنا سعيد بن ميسرة، عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : «هبط آدم وحواء غريانين جميعا، عليهما ورق الجنة، فأصابه الحر حتى قعد يبكى ويقول لها: يا حواء قد آذانى الحر، قال فجاءه جبريل بقطن، وأمرها[1] أن تغزل وعلمها، وأمر آدم بالحياكة وعلمه أن ينسج»[2] وقال :« وكان آدم لم يجامع امرأته فى الجنة، حتى هبط منها للخطيئة التى أصابتهما بأكلهما من الشجرة» ، قال : « وكان كل واحد منهما ينام على حدة، وينام أحدهما فى البطحاء والآخر من ناحية أخرى، حتى أتاه جبريل فأمره أن يأتى أهله»، قال : «وعلمه كيف يأتيها، فلما أتاها جاءه جبريل فقال: كيف وجدت امرأتك؟ قال صالحة»[3].

فإنه حديث غريب ورفعه منكر جدا وقد يكون من كلام بعض السلف وسعيد بن ميسرة هذا هو أبو عمران البكرى البصرى ، قال فيه البخارى منكر الحديث، وقال ابن حبان: يروى الموضوعات، وقال ابن عدى مظلم الأمر.

وقوله تعالى : ﴿ فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [سورة البقرة].

قيل هى قوله : ﴿ ... ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ﴾ .

---

(١) فى تاريخ ابن عساكر: وآمر بالنسخ.

(٢) رواه ابن عساكر فى تاريخه.

(٣) رواه البخارى فى صحيحه ورواه أحمد في مسنده ورواه أيضا عن عبد الرزاق عن معمر . ورواه مسلم فى صحيحه. من طريق عمر الناقد. وكذا رواه النسائى.

روى هذا عن مجاهد وسعيد بن جبير وأبى العالية والربيع بن أنس والحسن وقتادة ومحمد بن كعب وخالد بن معدان وعطاء الخراسانى وعبد الرحمن بن زيد من أسلم. وقال ابن أبي حاتم :حدثنا على بن الحسن بن أسكاب، حدثنا على بن عاصم، عن سعيد بن أبى عروبة، عن قتادة، عن الحسن، عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ :«قال آدم عليه السلام :أرأيت[1] يارب إن تبت ورجعت أعائدى إلى الجنة؟ قال : نعم . فذلك قوله : ﴿ فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ... (٣٧) ﴾ [البقرة] . وهذا غريب من هذا الوجه وفيه انقطاع.

وقال ابن أبى نجيح، عن مجاهد قال : الكلمات : «اللهم لا إله إلا الله أنت سبحانك وبحمدك، ربى إنى ظلمت نفسى فاغفر لى إنك خير الراحمين. اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك، رب إنى ظلمت نفسى فتب على إنك أنت التواب الرحيم».

وروى الحاكم فى مستدركه من طريق سعيد بن جبير، عن ابن عباس : ﴿ فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ...(٣٧) ﴾ [لبقرة] قال : قال آدم : يارب ألم تخلقنى بيدك ؟ قيل له : بلى ، ونفخت فى من روحك ؟ قيل له : بلى ، وعطست ، فقلت يرحمك الله وسبقت رحمتك غضبك ؟ قيل له : بلى ، وكتبت على أن أعمل هذا؟ قيل له : بلى ، قال : أفرأيت إن تبت هل أنت راجعى إلى الجنة: قال نعم . ثم قال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

وروى الحاكم أيضا والبيهقى وابن عساكر من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، عن أبيه عن جده عن عمر بن الخطاب قال : قال رسول الله ﷺ :«لما

---

(١) أرأيت : أخبرنى .

اقترف آدم الخطيئة، قال : يارب أسألك بحق محمد الا غفرت لى». فقال الله : فكيف عرفت محمدا ولم أخلقه بعد؟. فقال : يارب لأنك لما خلقتنى بيدك، ونفخت فى من روحك، رفعت رأسى فرأيت على قوائم العرش مكتوبا لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك.

فقال الله : صدقت يا آدم، أنه لأحب الخلق إلى ، وإذ سألتنى بحقه فقد غفرت لك، ولولا محمد ماخلقتك.

قال البيهقى : تفرد به عبد الرحمن بن زيد بن أسلم من هذا الوجه وهو ضعيف. والله أعلم.

وهذه الآية كقوله تعالى : ﴿ وعصى آدم ربه فغوى * ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى ﴾ . (سورة طه - الآية ١٢١-١٢٢).

ذكر احتجاج آدم

وموسى عليهما السلام

قال البخارى : حدثنا قتيبة ، حدثنا أيوب بن النجار، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبى سلمة عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : «حاج موسى آدم عليهما السلام فقال له : أنت الذى أخرجت الناس بذنبك من الجنة وأشقيتهم.

قال آدم : ياموسى أنت الذى اصطفاك الله برسالاته وبكلامه، أتلومنى على أمر كتبه الله على قبل أن يخلقنى، أو قدره على قبل أن يخلقنى».

قال رسول الله ﷺ : «فحج آدم موسى» (١).

وقد رواه مسلم عن عمرو الناقد، والنسائى عن محمد بن عبد الله بن يزيد،

(١) رواه أحمد فى مسنده . ورواه البخارى فى صحيحه. ورواه مسلم فى صحيحه.

عن أيوب بن النجار به قال أبو مسعود الدمشقى، ولم يخرجا عنه فى الصحيحين سواه.

وقد رواه أحمد ، عن عبد الرزاق عن معمر، عن همام، عن أبى هريرة ورواه مسلم عن محمد بن رافع، عن عبد الرزاق به.

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو كامل ، حدثنا إبراهيم ، حدثنا أبو شهاب عن حميد ابن عبد الرحمن، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : «احتج آدم موسى ، فقال له موسى : أنت آدم الذي أخرج خطيئتك من الجنة؟

فقال له آدم : وأنت موسى الذى اصطفاك الله برسالاته وبكلامه، تلومنى على أمر قدر على قبل أن أخلق ؟». قال رسول الله ﷺ : «فحج آدم موسى» مرتين [1]. قلت : وقد روى هذا الحديث البخارى ومسلم من حديث الزهرى ، عن حميد بن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة عن النبى ﷺ بنحوه.

وقال الإمام أحمد: حدثنا معاوية بن عمر، حدثنا زائدة، عن الأعمش عن أبى صالح، وعن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « احتج آدم وموسى ، فقال موسى يا آدم أنت الذى خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، أغويت الناس وأخرجتهم من الجنة».

قال : «فقال آدم : وأنت ياموسى الذي اصطفاك الله بكلامه تلومنى على عمل أعمله، كتبه الله على قبل أن يخلق السموات والأرض؟» . قال : «فحج آدم موسى»[2].

---

(١) رواه أحمد فى مسنده .

(٢) رواه أحمد في مسنده . ورواه البخارى فى صحيحه ، ورواه أيضا السيوطى فى الفتح الكبير طبعة الحلبى وقال رواه أبو داود والترمذى أيضا. ورواه ابن ماجة فى سننه .

وقد رواه الترمذى والنسائى جميعا عن يحيي بن حبيب بن عدى ، عن معمر بن سليمان، عن أبيه ، عن الأعمش به.

قال الترمذى : وهو غريب من حديث سليمان التيمى عن الأعمش.

قال : وقد رواه بعضهم عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى سعيد.

قال : هكذا رواه الحافظ أبو بكر البزار فى مسنده، عن محمد بن مثنى، عن معاذ بن أسد، عن الفضل بن موسى، عن الأعمش عن أبى صالح، عن أبي سعيد.

ورواه البزار أيضا : حدثنا عمرو بن على الفلاس ، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبى صالح، عن أبى هريرة، أو أبى سعيد عن النبى ﷺ فذكر نحوه.

وقال أحمد : حدثنا سفيان عن عمرو سمع طاووسا، سمع أبا هريرة يقول : قال رسول الله ﷺ :« احتج آدم وموسى ، فقال موسى : يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة.

قال له آدم : يا موسى أنت الذى اصطفاك الله بكلامه - وقال مرة برسالته- وخط لك بيده أتلومنى على أمر قدره الله على قبل أن يخلقنى بأربعين سنة؟».

قال : « حج آمد موسى ، حج آدم موسى ، حج آدم موسى»(١).

هكذا رواه البخارى عن على بن المدينى ، عن سفيان ، قال حفظناه من عمرو عن طاوس، قال سمعت أبا هريرة عن النبى ﷺ قال :«احتج آدم وموسى فقال موسى : يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة.

(١) رواه أحمد فى مسنده.

فقال له آدم : ياموسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك بيده، أتلومنى على أمر قدره الله على قبل أن يخلقنى بأربعين سنة؟».

«فحج آدم موسى ، فحج آدم موسى ، فحج آدم موسى هكذا ثلاث».

قال سفيان : حدثنا أبو الزناد، عن الأعرج، عن أبى هريرة ، عن النبى ﷺ مثله.

وقد رواه الجماعة إلا ابن ماجة من عشر طرق ، عن سفيان بن عيينة، عن عمر، ابن دينار، عن عبد الله بن طاووس، عن أبيه عن أبى هريرة، عن النبى ﷺ بنحوه.

وقال أحمد : حدثنا عبد الرحمن، حدثنا حماد، عن عمار، عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال :« لقى آدم موسى، فقال :أنت آدم الذى خلقك الله بيده، وأسجد لك ملائكته، واسكنك الجنة، ثم فعلت ما فعلت؟.

فقال أنت موسى الذى كلمك الله واصطفاك برسالته، وأنزل عليك التوارة، أنا أقدم أم الذكر؟ قال : لا بل الذكر.

فحج آدم موسى» (١).

قال أحمد: وحدثنا عفان ، حدثنا حماد، عن عمار بن أبى عمار، عن أبى هريرة عن النبى ﷺ ، وحميد عن الحسن عن رجل -قال حماد أظنه جندب بن عبد الله البجل- عن النبى ﷺ قال:«لقى آدم موسى» فذكر معناه.

تفرد به أحمد من هذا الوجه.

وقال أحمد : حدثنا حسين، حدثنا جرير- هو ابن حازم- عن محمد ،

---

(١) رواه ابن عساكر فى تاريخه.

وهو ابن سيرين، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :«لقى آدم موسى فقال : أنت آدم الذى خلقك الله بيده وأسكنك جنته، وأسجد لك ملائكته، ثم صنعت ماصنعت؟.

قال آدم لموسى :أنت الذى كلمه الله، وأنزل عليه التوراة؟ قال : نعم . قال : فهل تجده مكتوبا على قبل أن أخلق ؟ قال : نعم.

قال: فحج آدم موسى ، فحج آدم موسى»(١).

وكذا رواه حماد بن زيد، عن أيوب وهشام عن محمد بن سيرين، عن أبى هريرة رفعه.

وكذا رواه على بن عاصم ، وعن خالد، وهشام عن محمد بن سيرين، وهذا على شرطهما من هذه الوجوه.

وقال ابن أبى حاتم: حدثنا يونس بن عبد الأعلى، أنبأنا ابن وهب، أخبرنى أنس بن عياض، عن الحارث بن أبى دياب، عن يزيد بن هرمز، سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله ﷺ :«احتج آدم وموسى عند ربهما فحج آدم موسى ،وو قال موسى : أنت الذى خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه واسجد لك ملائكته، وأسكنك جنته، ثم أهبطت الناس إلى الأرض بخطيئتك؟.

قال آدم :أنت موسى الذى اصطفاك الله برسالته وكلامه، وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شىء وقربك نجيا؟فبكم وجدت الله كتب التوراة؟ قال موسى: بأربعين عاما. قال آدم:فهل وجدت فيها: «وعصى آدم ربه فغوى» قال:نعم . قال :أفتلومنى على أن عملت عملا كتب على أن أعمله قبل أن يخلقنى بأربعين سنة؟».

(١) رواه أحمد فى مسنده.

قال : قال رسول الله ﷺ :فحج آدم موسى».

قال الحارث: وحدثنى عبد الرحمن بن هرمز بذلك، عن أبى هريرة، عن رسول الله ﷺ.[(١)]

وقد رواه مسلم عن اسحق بن موسى الأنصارى، عن أنس بن عياض، عن الحارث ابن عبد الرحمن بن أبى ذياب، عن يزيد بن هرمز والأعرج، عن أبى هريرة عن النبى ﷺ بنحوه.

وقال أحمد : حدثنا عبد الرزاق، أنبأنا معمر، عن الزهرى، عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ :«احتج آدم وموسى ، فقال موسى لآدم، :ياآدم أنت الذى أدخلت ذريتك النار. فقال آدم: ياموسى اصطفاك الله برسالاته وبكلامه، وأنزل عليك التوراة فهل وجدت أن أهبط؟ قال : نعم، قال : فحجه آدم»[(٢)].

وهذا على شرطهما ولم يخرجاه من هذا الوجه، وفى قوله : «أدخلت ذريتك النار» نكارة.

فهذه طرق هذا الحديث عن أبى هريرة، رواه عنه حميد بن عبد الرحمن وذكوان أبو صالح السمان، وطاووس بن كيسان، وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج، وعمار بن أبى عمار، ومحمد بن سيرين، وهمام بن منبه ويزيد بن هرمز، وأبو سلمة بن عبد الرحمن.

---

(١) رواه أبو داود فى سننه.

(٢) رواه البيهقى فى سننه .ورواه ابن عساكر فى تاريخه . ورواه الطبرى فى تاريخه مطولا . ورواه أبو داود فى سننه . ورواه أحمد فى مسنده واللفظ له . وابن سعد فى الطبقات الكبرى. رواه الترمذى فى سننه .

وقد رواه الحافظ أبو يعلى الموصل فى مسنده من حديث أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال: حدثنا الحارث بن مسكين المصرى، حدثنا عبدالله بن وهب ، أخبرنى هشام بن سعيد، عن زيد بن أسلم،عن أبيه، عن عمر بن الخطاب، عن النبىﷺ :«قال موسى عليه السلام : يارب أرنا آدم الذى آخرجنا ونفسه من الجنة. فآراه آدم عليه السلام، فقال :أنت آدم؟ فقال له آدم :نعم. فقال : أنت الذى نفخ الله فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، وعلمك الأسماء كلها؟ قال : نعم. قال : فما حملك على أن أخرجتنا ونفسك من الجنة؟.

فقال له آدم : من أنت ؟ قال :أنا موسى ، قال : أنت موسى نبى بنى إسرائيل ؟ أنت الذى كلمك الله من وراء الحجاب، فلم يجعل بينك وبينه رسولا من خلقه؟ قال: نعم. قال : تلومنى على أمر قد سبق من الله عز وجل القضاء به قبل؟! قال رسول الله ﷺ :«فحج آدم موسى، فحج آدم موسى»[1].

ورواه أبو داود عن أحمد بن صالح المصرى، عن ابن وهب به.

قال أبو يعلى :وحدثنا محمد بن المثنى، حدثنا عبد الملك بن الصباح لسمعى، حدثناعمران، عن الردينى، عن أبى مجلز، عن يحيى بن يعمر، عن ابن عمر، عن عمر- قال أبو محمد: أكبر ظنى أنه رفعه- قال:«التقى آدم وموسى فقالموسى لآدم أنت أبو البشر، أسكنك الله جنته، وأسجد ملائكته . قالآدم: ياموسى أما تجده على مكتوبا. قال:فحج آدم موسى فحج آدم موسى».

وهذا الإسناد أيضا لا بأس به ، والله أعلم.

وقد تقدم رواية الفضل بن موسى لهذا الحديث عن الأعمش، عن أبى صالح عن أبى سعيد، ورواية الإمام أحمد له عن عفان، عن حماد بن سلمة عن

(١) رواه أبو داود فى سننه .

حميد، عن الحسن عن رجل. قال حماد: أظنه جندب بن عبد الله الجبلى، عن النبىﷺ :«لقى آدم . فذكر معناه.

وقد اختلفت مسالك الناس فى هذا الحديث.

فرده قوم من القدرية لما تضمنه من إثبات القدر السابق.

واحتج به قوم من الجبرية، وهو ظاهر لهم بادى الرأى حيث قال : «فحج آدم موسى» لما احتج عليه بتقديم كتابه، وسيأتى الجواب عن هذا.

قال آخرون: إنما حجه لأنه لامه على ذنب قد تاب منه، والتائب من الذنب كمن لاذنب له.

وقيل إنما حجه لأنه أكبر منه وأقدم. وقيل لأنه أبوه. وقيل لأنهما فى شريعتين متغايرتين. وقيل لأنهما فى دار البرزخ وقد انقطع التكليف فيما يزعمون.

والتحقيق: أن هذا الحديث روى بألفاظ كثيرة بعضها مروى بالمعنى وفيه نظر.

ومدار معظمها فى الصحيحين وغيرهما على أنه لامه على اخراجه نفسه وذريته من الجنة، فقال له آدم: أنا لم أخرجكم، وإنما أخرجكم الذى رتب الإخراج على أكلى من الشجرة، والذى رتب ذلك وقدره وكتبه قبل أن أخلق، وهو الله عز وجل، فأنت تلومنى على أمر ليس له نسبة إلى أكثر من أنى نهيت عن الأكل من الشجرة فأكلت منها، وكون هذا الإخراج مترتبا على ذلك ليس من فعلى، فأنا لم أخرجكم ولا نفسى من الجنة، وإنما كان هذا من قدر الله وصنعه، وله الحكمة فى ذلك فلهذا حج آدم موسى.

ومن كذب بهذا الحديث فمعاند، لأنه متواتر عن أبى هريرة رضى الله عنه، وناهيك به عدالة وحفظا وإتقانا.

ثم هو مروى عن غيره من الصحابة كما ذكرنا.

ومن تأوله بتلك التأويلات المذكورة، آنفا، فهو بعيد عن اللفظ والمعنى، وما فيهم من هو أقوى مسلكا من الجبرية.

وفيما قالوه نظر من وجوه:.

أحدهما: أن موسى عليه السلام لايلوم على أمر قد تاب عنه فاعله.

الثانى : أنه قد قتل نفسا لم يؤمر بقتلها، وقد سأل الله فى ذلك بقوله.

﴿ رب إنى ظلمت نفسى فاغفر لى فغفر له ﴾ (القصص -الآية ١٦).

الثالث : أنه ربما كان الجواب عن اللوم على الذنب بالقدر المتقدم كتابته على العبد، لانفتح هذا لكل من ليم على أمر قد فعله، فيحتج بالقدر السابق فينسد باب القصاص والحدود. ولو كان القدر حجة لاحتج به كل أحد على الأمر الذى ارتكبه فى الأمور الكبار والصغار. وهذا يفضى إلى لوازم فظيعة. فلهذا قال من قال من العلماء بأن جواب آدم إنما كان احتجاجا بالقدر على المصيبة لا المعصية. والله تعالى أعلم.

خلق الملائكة و صفاتهم

قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ (٢٦) لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ (٢٧) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ (٢٨) وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (٢٩) ﴾ [سورة الأنبياء : من الآية ٢٦ ـ ٢٩]

الملائكة يسبحون

وقال تعالى : ﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَالْمَلائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الأَرْضِ أَلا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥) ﴾ [الشورى : الآية ٥]

حملة العرش

وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٧) رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٨) ﴾ [سورة غافر : الآية ٧ ـ ٨]

وقال تعالى : ﴿ وَلَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلا يَسْتَحْسِرُونَ (١٩) يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ (٢٠) ﴾ [سورة الأنبياء : الآية ١٩ ـ ٢٠]

الملائكة يسبحون

وقال تعالى : ﴿ وَمَا مِنَّا إِلاَّ لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ (١٦٤) وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ (١٦٥) وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ (١٦٦) ﴾ [سورة الصافات : الآية ١٦٤ ـ ١٦٥]

الكرام الكاتبين

وقال تعالى : ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلاَّ بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ [مريم : ٦٤]

وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ (١٢) ﴾ [الإنفطار : الآية ١٠ ـ ١٢]

خزنة النار

وقال تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلاَّ مَلائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ وَمَا هِيَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْبَشَرِ (٣١) ﴾ [سورة المدثر : الآية ٣١]

خزنة الجنة

وقال تعالى : ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ (٢٤) ﴾ [سورة الرعد : الآية ٢٣ ـ ٢٤]

الملائكة رسل

وقال تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) ﴾ [سورة فاطر : الآية ١]

وقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلائِكَةُ تَنزِيلاً (٢٥) الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا (٢٦) ﴾ [الفرقان : الآية ٢٥ - ٢٦]

وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلائِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا (٢١) يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلائِكَةَ لا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾ [الفرقان: ٢١ - ٢٢]

وقال تعالى : ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ (٩٨) ﴾ [سورة البقرة : الآية ٩٨]

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (٦) ﴾ [التحريم : الآية ٦]

والآيات فى ذكر الملائكة كثيرة جداً يصفهم الله تعالى بالقوة فى العبادة وفى الخلق وحسن المنظر وعظمة الأشكال وقوة الشكل فى الصور المتعددة كم قال تعالى :

﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ

عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ ﴾ [سورة هود : الآية ٧٧ ـ ٧٨]

فتبدى الملائكة لهم فى صورة شباب حسان امتحانا واختيارا حتى قامت على قوم لوط الحجة وأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر، وكذلك كان جبريل عليه السلام يأتى إلى النبى ﷺ فى صور متعددة فتارة يأتى فى صورة دحية بن خليفة الكلبى وتارة فى صورة أعرابى وتاره فى صورته التى خلق عليها له ستمائة جناح ما بين كل جناحين كما بين المشرق والمغرب كما رآه على هذه الصفة مرتين مرة منهبطا من السماء إلى الأرض وتارة عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى ،

وهو قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ ﴾ [سورة النجم : الآية ٧ ـ ٨]

قال رسول الله ﷺ فى حديث المعراج : ... ثم رفعت إلى سدرة المنتهى فإذا نبقها كالقلال (أعلى الجبال)، وفى رواية كقلال هجر وإذا ورقها كآذان الفيلة وإذا يخرج من أصلها نهران باطنان ونهران ظاهران ، فأما الباطنان ففى الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات ... وفيه ثم رفع لى البيت المعمور وإذا هو يدخله فى كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه آخر ما عليهم . ذكر أنه وجد إبراهيم الخليل عليه السلام مسنداً ظهره إلى البيت المعمور ، وهذا البيت المعمور هو فى السماء السابعة بمنزلة الكعبة فى الأرض .

وقد روى سفيان الثورى وشعبة وأبو الأحوص عن سماك بن حرب عن خالد بن عرعرة أن ابن الكوا سأل على ابن أبى طالب عن البيت المعمور فقال :

هو مسجد فى السماء يقال له الفراح، وهو بحيال الكعبة من فوقها . حرمته فى السماء كحرمة البيت فى الأرض يصلى فيه كل يوم سبعون ألفا من الملائكة لا يعودون إليه أبدا. وهكذا روى على بن ربيعة وأبو الطفيل عن على مثله .

وقال الطبرانى أنبأنا الحسن بن علوية القطان حدثنا إسماعيل بن عيسى العطار حدثنا اسحاق بن بشر أبو حذيفة حدثنا ابن جريج عن صفوان بن سليم عن كريب عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : البيت المعمور فى السماء يقال له الفراح وهو على مثل البيت الحرام بحياله لو سقط لسقط عليه يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يرونه قط فإن له فى السماء حرمة على قدر حرمة مكة، يعنى فى الأرض وهكذا قال العونى عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة والربيع بن أنس والسدى وغير واحد .

واسم البيت الذى فى السماء بيت العزة ، واسم الملك الذى هو مقدم الملائكة الذين يدخلون فى كل يوم إلى البيت المعمور ثم لا يعودون إليه آخر فعلى هذا يكون السبعون ألفاً من الملائكة الذين يدخلون فى كل يوم البيت المعمور ثم لا يعودون إليه آخر ما عليهم (أى لا يحصل لهم نوبة فيه إلى آخر العمر يكونون من سكان السماء السابعة وحدها) ، ولهذا قال تعالى :

﴿ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلاَّ مَلائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ وَمَا هِيَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْبَشَرِ (٣١) ﴾ [المدثر : الآية ٣١]

قال الإمام أحمد : حدثنا أسود بن عامر حدثنا إسرائيل عن إبراهيم بن

مهاجر عن مجاهد عن مورق عن أبى ذر قال : قال رسول الله ﷺ : إنى أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون اطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع إلا عليه ملك ساجد لو علمتم ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيراً ولما تلذذتم بالنساء على الفرشات ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون (ترفعون أصواتكم بالدعاء) إلى الله عز وجل . فقال أبو ذر والله لوددت أنى شجرة تعضد (تقطع) ورواه الترمذى وابن ماجة من حديث إسرائيل . فقال الترمذى حسن غريب ويروى عن أبى ذر موقوفاً .

وقال الحافظ أبو القاسم الطبرانى : حدثنا حسين بن عرفة المصرى حدثنا عروة بن عمران الرقى حدثنا عبيد الله ابن عمرو عن عبد الكريم بن مالك عن عطاء بن أبى رياح عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : ما فى السموات السبع موضع قدم ولا شبر ولاكف إلا فيه ملك قائم أو ملك ساجد أو ملك راكع فإذا كان يوم القيامة قالوا جميعا ما عبدناك حق عبادتك إلا أنا لا نشرك بك شيئاً .

فدل هذان الحديثان على أنه ما من موضع فى السموات السبع إلا وهو مشغول بالملائكة وهم فى صنوف من العبادة منهم من هو قائم أبداً ، ومنهم من هو راكع أبداً ، ومنهم من هو ساجداً أبداً ، ومنهم من هو فى صفوف آخر . وهم دائمون فى عبادتهم وتسبيحهم وأذكارهم وأعمالهم التى أمرهم الله بها ، ولهم منازل عند ربهم ، كما قال تعالى :

﴿ وَمَا مِنَّا إِلاَّ لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ (١٦٤) وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ (١٦٥) وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ (١٦٦) وَإِن كَانُوا لَيَقُولُونَ (١٦٧) لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ الأَوَّلِينَ (١٦٨) لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (١٦٩) فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ

(١٧٠) وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (١٧١) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ (١٧٢) وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ (١٧٣) فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ (١٧٤) وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ (١٧٥) أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ (١٧٦) فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ (١٧٧) وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ (١٧٨) وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ (١٧٩) سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٨٠) وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ (١٨١) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٨٢) ﴾ [الصافات : الآية ١٦٤ ـ ١٨٢]

وقال ﷺ : "ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها، قالوا وكيف يصفون عند ربهم . قال يكملون الصف الأول ويتراصون فى الصف "، وقال : "فضلنا على الناس بثلاث ، جعلت لنا الأرض مسجداً وتربتها لنا طهورا ، وجعلت صفوفنا كصفوف الملائكة ، وكذلك يأتون يوم القيامة بين يدى الرب جل جلاله صفوفا كما قال تعالى :

﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا (٣٨) ﴾ [سورة النبأ : الآية ٣٨]

وقال تعالى : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (٢٢) ﴾ [سورة الفجر : الآية ٢٢]

والمراد بالروح هنا بنو آدم قال ابن عباس والحسن وقتادة ، وقيل ضرب من الملائكة يشبهون بنى آدم فى الشكل ، قاله ابن عباس ومجاهد وأبو صالح والأعمش ، وقيل جبريل ، قاله الشعبى وسعيد بن جبير والضحاك ، وقيل ملك من أعظم الملائكة خلقاً .

وقال ابن جرير حدثنى محمد بن خلف العسقلانى حدثنا داود بن الجراح عن أبى حمزة عن الشعبى عن علقمة عن ابن مسعود قال : الروح فى السماء

الرابعة هو أعظم من السموات والجبال ومن الملائكة يسبح كل يوم اثنى عشر ألف تسبيحة يخلق الله من كل تسبيحة ملكان من الملائكة يجئ يوم القيامة صفا وحده، وهو غريب جداً.

وقال الطبراني : حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكيم المصرى حدثنا ابن وهب بن رزق أبو هيدة حدثنا بشر بن بكر الأوزاعى حدثنى عطاء بن عبد الله بن عباس قال . سمعت رسول الله ﷺ يقول : أن لله ملكا لو قيل له إلتقم السموات والأرض بلقمة لفعل ، تسبيحة سبحانك حيث كنت ، وهذا أيضاً حديث غريب جداً ، وقد يكون موقوفا .

جبريل عليه السلام

وقد ورد فى صفة جبريل عليه السلام قوله تعالى :

﴿ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ [سورة النجم : الآية ٥]

قالوا كان من شدة قوته أنه رفع مدائن قوم لوط وكن سبعا بمن فيها من الأمم وكانوا قريباً من أربعمائة ألف وما معهم من الدواب والحيوانات وما لتلك المدن من الأراضى والمعتملات والعمارات وغير ذلك . رفع ذلك كله على طرف جناحه حتى بلغ بهن عنان السماء حتى سمعت الملائكة نباح الكلاب وصياح ويكتهم ثم قلبها فجعل عاليها سافلها فهذا شديد القوى ، وقوله ذو مرة أى خلق حسن وبهاء وسناء كما قال فى الآية الأخرى ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ ﴾ [سورة الحاقة : الآية ٤٠]

أى جبريل رسول من الله كريم أى حسن المنظر ذى قوة أى له قوة وبأس شديد عند ذى العريش مكين أى له مكانة ومنزلة عالية رفيعة عند الله ذى العرش المجيد . مطاع ثم أمين مطاع فى الملأ الأعلى أمين أى ذى أمانة

عظيمة، ولهذا كان هو السفير بين الله وبين أنبيائه عليهم السلام الذى ينزل عليهم بالوحى ، فيه الأخبار الصادقة والشرائع العادلة .

وقال البخارى حدثنا أبو نعيم حدثنا عمر بن ذر (ح) وحدثنى يحيى بن جعفر حدثنا وكيع عن عمر ابن ذر عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ لجبريل ألا تزورنا أكثر مما تزورنا قال فنزلت : وما نتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا.

وروى البخارى من حديث الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله بن عباس قال كان رسول الله ﷺ أجود الناس وكان أجود ما يكون فى رمضان حين يلقاه جبريل وكان يلقاه كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة .

وقال البخارى أيضا : حدثنا قتيبة حدثنا الليث عن ابن شهاب أن عمر بن عبد العزيز أخر العصر شيئا فقال له عروة أما أن جبريل قد نزل فصل أمام رسول الله ﷺ ، فقال عمر : اعلم ما تقول يا عروة قال سمعت بشير بن أبى بشير بن أبى مسعود يقول سمعت أبا مسعود يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : نزل جبريل فأمنى فصليت معه ثم صليت معه ثم صليت معه ثم صليت معه حسب بأصابعه خمس صلوات .

إسرافيل عليه السلام

ومن صفة إسرافيل عليه السلام وهو أحد حملة العرش وهو الذى ينفخ فى الصور بأمر ربه نفخات ثلاثة. أولاهن نفخة الفزع والثانية نفخة الصعق والثالثة نفخة البعث والصور قرن يُنفخ فيه . كل دارة منه كما بين السماء والأرض ، وفيه موضع أرواح العباد حين يأمره الله بالنفخ للبعث فإذا نفخ تخرج

الأرواح تتوهج فيقول الرب جل جلاله : وعزتى وجلالى لترجعن كل روح إلى البدن الذى كانت تعمره فى الدنيا فتدخل على الأجساد فى قبورها فتدب فيها كما يدب السم فى اللديغ فتحى الأجساد وتنشق عنهم الأجداث فيخرجون منها سراعا إلى مقام المحشر .

ولهذا قال رسول الله ﷺ كيف أنعم وصاحب القرن قد إلتقم القرن وحنى جبهته وانتظر أن يؤذن له ". قالوا كيف تقول يا رسول الله ، قال : قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا . رواه أحمد والترمذى من حديث عطية العوفى عن أبى سعيد الخدرى .

وقال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن سعد الطائى عن عطية العوفى عن أبى سعيد قال : قال رسول الله ﷺ صاحب الصور فقال : عن يمينه جبريل وعن يساره ميكائيل عليهم السلام .

وقال الحافظ أبو القاسم الطبرانى حدثنا محمد ابن عبد الله الحضرى حدثنا محمد بن عمران ابن أبى ليلى حدثنى عن أبى ليلى عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس. قال نبينا رسول الله ﷺ ومعه جبريل بناحية إذا انشق أفق السماء فأقبل إسرافيل يدنو من الأرض وميخائيل فإذا ملك قد مثل بين يدى النبى ﷺ فقال : يا محمد إن الله يأمرك أن تختار بين نبى عبد أو ملك نبى قال فأشار جبريل بيده (أن تواضع) فعرفت أنه لى ناصح فقلت عبد نبى فعرج ذلك الملك إلى السماء فقلت يا جبريل قد كنت أردت أن أسألك عن هذا فرأيت من حالك ما شغلنى عن المسألة فمن هذا يا جبريل ؟ فقال هذا إسرافيل عليه السلام خلقه الله يوم خلقه بين يديه صافا قدميه لا يرفع طرفه بينه وبين الرب سبعون نوراً ما منها نور يكاد يدنو منه إلا احترق بين يديه لوح فإذا أذن الله

فى شئ فى السماء أو فى الأرض ارتفع ذلك اللوح فضرب جبهته فينظر فإن كان من عملى أمرنى به وإن كان من عمل ميكائيل أمره به وإن كان من عمل ملك الموت أمره به . قلت يا جبريل وعلى أى شئ أنت قال على الريح والجنود. قلت وعلى أى شئ ميكائيل قال على النبات والقطر قلت وعلى أى شئ ملك الموت قال قبض الأنفس وما ظننت أنه نزل إلا لقيام الساعة وما الذى رأيت منى إلا خوفاً من قيام الساعة . هذا حديث غريب من هذا الوجه .

وفى صحيح مسلم عن عائشة أن رسول الله ﷺ : كان إذا قام من الليل يصلى يقول اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون أهدنى فى لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدى من تشاء إلى صراط مستقيم ، وفى حديث الصور أن إسرافيل أول من يبعثه الله بعد الصعق لينفخ فى الصور.

وذكر محمد بن الحسن النقاش أن إسرافيل أول من سجد من الملائكة فجوزى بولاية اللوح المحفوظ . حكاه أبو القاسم السهيل فى كتابه (التعريف والأعلام بما أبهم فى القرآن من الأعلام) . وقال تعالى :

﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ [سورة البقرة : الآية ٩٨]

عطفها على الملائكة لشرفها فجبريل ملك عظيم قد تقدم ذكره، أما ميكائيل.

ميكائيل عليه السلام

فموكل بالقطر والنبات وهو ذو مكانة من ربه عز وجل ومن أشراف الملائكة المقربين ، وقد قال الإمام أحمد : حدثنا أبو اليمان حدثنا ابن عباس عن

عمارة بن غزية الأنصاري أنه سمع حميد بن عبيد مولى بنى المعلى يقول : سمعت ثابتاً البناني يحدث عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ : أنه قال لجبريل ما لى لم أر ميكائيل ضاحكا قط فقال ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار ، فهؤلاء الملائكة المصرح بذكرهم فى القرآن وفى الصحاح هم المذكورون فى الدعاء النبوى اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل ، فميكائيل موكل بالقطر والنبات اللذين يخلق منهما الأرزاق فى هذه الدار، وله أعوان يفعلون مايأمرهم به بأمر به . يصرفون الرياح والسحاب كما يشاء الرب جل جلاله . وإنه ما عن قطرة تنزل من السماء إلا ومعها ملك يقررها فى موضعها من الأرض . وإسرافيل موكل بالنفخ فى الصور للقيام من القبور . وجبريل ينزل بالهدى على الرسل لتبليغ الأمم . وميكائيل يحصل بما هو موكل به الرزق ، وأما ملك الموت فليس مصرح باسمه فى القرآن ولا فى الأحاديث الصحاح ، وقد جاء فى بعض الآثار بعزرائيل والله أعلم .

ملك الموت عليه السلام

قال تعالى : ﴿ قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ (11) ﴾ [السجدة : الآية ١١]

وله أعوان يستخرجون روح العبد من جثته حتى تبلغ الحلقوم فيتناولها ملك الموت بيده فإذا أخذها لم يدعوها فى يده طرفه عين حتى يأخذوها منه فيلفوها فى أكفان تليق بها ،

قال تعالى : ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ (27) ﴾ [سورة إبراهيم: الآية ٢٧]

ثم يصعدون بها فإن كانت صالحة فتحت لها أبواب السماء وإلا غلقت دونها وألقى بها إلى الأرض قال تعالى:

﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ (٦١) ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ أَلا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ (٦٢) ﴾ [سورة الأنعام : الآية ٦١ - ٦٢]

وعن ابن عباس ومجاهد وغير واحد أنهم قالوا إن الأرض بين يدى ملك الموت مثل الطست يتناول منها حيث يشاء ، وإن ملائكة الموت يأتون الإنسان على حسب عمله إن كان مؤمنا أتاه ملائكة بيض الوجوه بيض الثياب . وإن كان كافرا أتته ملائكة سود الوجوه سود الثياب عياذا بالله العظيم من ذلك .

روى ابن حاتم حدثنا أبى حدثنا يحيى بن أبى يحيى المقرى حدثنا عمرو بن شمر قال : سمعت جعفر بن محمد قال : سمعت أبى يقول : نظر رسول الله ﷺ إلى ملك الموت عند رأس رجل من الأنصار ، فقال له النبى ﷺ : يا ملك الموت أرفق بصاحبى فأنه مؤمن فقال ملك الموت يا محمد طب نفسا وقر عينا فأنى بكل مؤمن رفيق. وأعلم أن ما فى الأرض بيت مدر (بيت طين) ولا شعر فى بر ولا بحر إلا وأنا اتفحصهم فى كل يوم خمس مرات حتى إنى أعرف بصغيرهم وكبيرهم منهم بأنفسهم والله يا محمد لو أنى أردت أن أقبض روح بعوضة ما قدرت على ذلك حتى يكون الله هو الآمر بقبضها .

قال جعفر بن محمد بلغنى أنه يتفحصهم عند مواقيت الصلاة فإذا حضر عند الموت فإذا كان ممن يحافظ على الصاة دنا منه الملك ودفع عنه الشيطان ولقنه الملك (لا إله إلا الله محمد رسول الله) فى تلك الحال العظيمة . هذا حديث مرسل .

وفى حديث الصور من طريق إسماعيل بن رافع الموتى القاص عن محمد ابن زياد عن محمد كعب القرظى عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ : ويأمر الله إسرافيل بنفخة الصعق فينفخ نفخة الصعق فيصعق أهل السموات وأهل الأرض إلا من شاء الله فإذا هم قد خمدوا جاء ملك الموت إلى الجبار عز وجل فيقول يارب قد مات أهل السموات إلا من شئت ، فيقول الله وهو أعلم بمن بقى، فمن بقى ؟ فيقول بقيت أنت الحى الذى لا يموت ، وبقيت حملة عرشك ، وبقى جبريل وميكائيل ، فيقول ليمت جبريل وميكائيل فينطق الله العرش ، فيقول يارب يموت جبريل وميكائيل فيقول أسكت فأنى كتبت الموت على كل من كان تحت عرشى فيموتان ، ثم يأتى ملك الموت إلى الجبار عز وجل فيقول يارب قد مات جبريل وميكائيل فيقول الله وهو أعلم بمن بقى. فمن بقى؟ فيقول بقيت أنت الحى الذى لا يموت وبقيت حملة عرشك وبقيت أنا فيقول الله لتمت حملة عرشى، فتموت . ويأمر الله العرش فيقبض الصور من إسرافيل ثم يأتى ملك الموت ، فيقول يارب قد مات حملة عرشك فيقول الله وهو أعلم بمن بقى . فمن بقى ؟ فيقول بقيت أنت الحى الذى لا يموت وبقيت أنا . فيقول الله أنت خلق من خلقى خلقتك لما أردت فمت فيموت . فإذا لم يبق إلا الله الواحد القهار الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد كان آخراً كما كان أولاً .... الحديث رواه الطبرانى وابن جرير والبيهقى ورواه الحافظ أبو موسى المدينى .

هاروت وماروت

ومن الملائكة المنصوص على أسمائهم فى القرآن هاورت وماروت ، وقد ورد فى قصتها وما كان من أمرهما آثار كثيرة غالبها إسرائيليات .

قال تعالى : ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ

سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (١٠٢)﴾ [سورة البقرة : الآية ١٠٢]

التفسير : قلت (المحقق)

قوله تعالى : ولقد علموا لمن اشتراه أى السحر ، ماله فى الآخرة من خلاق أى ماله فى الأخرة من نصيب أى لا ينال رحمة الله وجنته ويحبط عمله .

ولبئس ما شروا به أنفسهم : أى بئس الأمر الذى باعوا من أجله أنفسهم للشيطان وهو السحر ، وهذه الآيات نزلت فى السحرة الذين تعلموا السحر من الشياطين وأمروهم أن يعملوا به وأما الملكان فكانا يحذران من استعماله بعد تعلمه ، ويخبران أن الساحر كافر . أهـ من قولنا .

منكر ونكير

ومن الملائكة المسلمين فى الحديث منكر ونكير عليهما السلام ، وقد استفاض فى الأحاديث ذكرهما فى سؤال القبر . قال تعالى :

﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ (٢٧)﴾ [سورة إبراهيم : الآية ٢٧]

خلق الجان وقصة الشيطان

قال تعالى : ﴿ خَلَقَ الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ (١٤) وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ (١٥) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (١٦) ﴾ [سورة الرحمن : الآية ١٤ ـ ١٦]

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (٢٦) وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ (٢٧) ﴾ [الحجر : الآية ٢٦ ـ ٢٧]

وقال ابن عباس وعكرمة ومجاهد والحسن وغير واحد من مارج من نار قالوا من طرف اللهب وفى رواية من خالصه وأحسنه . وروى الزهرى عن عروة عن عائشة (رضى الله عنه) قالت : قال رسول الله ﷺ : "خلقت الملائكة من نور خلق الجان من نار وخلق آدم مما وصف لكم . (رواه مسلم) . قال كثير من علماء التفسير خلقت الجن قبل آدم عليه السلام وكان قبلهم فى الأرض الجن والبن فسلط الله الجن عليهم فقتلوهم وأجلوهم عنها وأبادوهم منها وسكنوها بعدهم .

ذكر السدى فى تفسيره عن أبى مالك عن أبى صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب رسول الله ﷺ لما فرغ الله من خلق ما أحب استوى على العرش فجعل إبليس على ملك الدنيا وكان من قبيلة من الملائكة يقال لهم الجن لأنهم خزان الجنة . وكان إبليس مع ملكه خازنا فوقع فى صدره إنما أعطانى الله هذا المزية لى على الملائكة . وذكر الضحاك عن ابن عباس أن الجن لما أفسدوا فى الأرض وسفكوا الدماء بعث الله إليهم إبليس ومعه جند من الملائكة فقتلوهم وأجلوهم عن الأرض إلى جزائر البحور .

وقال محمد بن إسحاق عن خلاد عن عطاء عن طاوس عن ابن عباس

كان اسم إبليس قبل أن يرتكب المعصية عزازيل ، وكان من سكان الأرض ومن أشد الملائكة اجتهاداً وأكثرهم علماً وكان من حى يقال لهم الجن .

وروى ابن أبى حاتم عن سعيد بن جبير عنه كان اسمه عزازيل وكان من أشرف الملائكة من أولى الأجنحة الأربعة ، وقد أسند عن حجاج عن ابن جريج قال ابن عباس كان كان إبليس من أشرف الملائكة وإكرمهم قبيلة، وكان خازنا على الجنان وكأن له سلطان سماء الدنيا وكان له سلطان الأرض .

وقال صالح مولى التوأمة عن ابن عباس كان يسوس ما بين السماء والأرض. رواه ابن جرير وقال قتادة عن سعيد بن المسيب كان إبليس رئيس ملائكة سماء الدنيا، وقال الحسن البصرى لم يكن من الملائكة طرفة عين وأنه لأصل الجن ، كما أن آدم أصل البشر .

وقال شهر بن حوشب وغيره كان إبليس من الجن الذين طردهم الملائكة فأسره بعضهم وذهب به إلى السماء . رواه ابن جرير، قالوا فلما أراد الله خلق آدم ليكون فى الأرض هو وذريته من بعده وصور جثته منها جعل إبليس وهو رئيس الجان وأكثرهم عبادة إذ ذاك وكان اسمه عزازيل يطيف به فلما رآه أجوف عرفه أنه خلق لا يتمالك . وقال أما لئن سلطت عليك لأهلكنك ولئن سلطت علىّ لأعصينك فلما أن نفخ الله فى آدم من روحه وأمر الملائكة بالسجود له دخل إبليس منه حسد عظيم وامتنع من السجود له وقال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين ، فخالف الأمر واعترض على الرب عز وجل وأخطأ فى قوله وابتعد من رحمة ربه وأنزل من رتبته التى كان قد نالها بعبادته وكان قد تشبه بالملائكة ولم يكن من جنسهم لأنه مخلوق من نار وهم من نور فخانه طبعه أحوج ما كان إليه ورجع إلى أصله النارى

﴿ فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٣٠) إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣١) ﴾ [سورة الحجر : الآية ٣٠ ـ ٣١]

وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً (٥٠) ﴾ [سورة الكهف : الآية ٥٠]

فأهبط إبليس من الملأ الأعلى وحرم عليه ، فنزل إلى الأرض حقيراً ذليلا مزؤوما مدحوراً (مطروداً) متوعداً بالنار هو ومن اتبعه من الجن والأنس إلا أنه مع ذلك جاهد كل الجهد على اضلال بنى آدم بكل طريق وبكل مرصد كما قال:

﴿ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلاً (٦٢) قَالَ اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَّوْفُورًا (٦٣) وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا (٦٤) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلاً (٦٥) ﴾ [سورة الإسراء : الآية ٦٢ ـ ٦٥]

والجان يأكلون ويشربون ويتناسلون ، ومنهم المؤمنون ومنهم الكافرون كما أخبر تعالى عنهم فى سورة الأحقاف فى قوله :

﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ (٢٩) قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ (٣٠) يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن

ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٣١) وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُوْلَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٣٢) ﴾
[سورة الأحقاف : الآية ٢٩ ـ ٣٢]

وقال تعالى : ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا (٢) وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا (٣) وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا (٤) وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (٥) وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا (٦) وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا (٧) وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا (٨) وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا (٩) وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا (١٠) وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا (١١) وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا (١٢) وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا (١٣) وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا (١٤) وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا (١٥) وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا (١٦) لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا (١٧) ﴾ [سورة الجن : الآية ١ ـ ١٧]

أما الجن المذكورون فى سورة الأحقاف فهم من جن نصيبين وفى بعض الآثار من جن بُصرى وأنهم مروا برسول الله ﷺ وهو قائم يصلى بأصحابه ببطن نخلة من أرض مكة فوقفوا فاستمعوا قراءته . ثم اجتمع بهم النبى ﷺ

ليلة كاملة فسألوه عن أشياء أمرهم بها ونهاهم عنها وسألوه الزاد فقال لهم : كل عظم ذكر اسم الله عليه تجدونه أوفر ما يكون لحماً وكل روثة علف لدوابكم ، ونهى النبى ﷺ أن يستنجى بها وقال : إنها زاد إخوانكم الجن ، ونهى عن البول فى السرب (الطريق) لأنها مساكن الجن، وقرأ عليهم رسول الله ﷺ سورة الرحمن فما جعل يمر فيها بآية (فبأى آلاء ربكما تكذبان) إلا قالوا ولا بشئ من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد : وقد أثنى عليهم النبى ﷺ فى ذلك لما قرأ هذه السورة على الناس فسكتوا . فقال : الجن كانوا أحسن منكم رد أما قرأت عليهم فبأى آلاء ربكما تكذبان إلا قالوا ولا بشئ من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد . رواه الترمذى عن جبير وابن جرير والبزار عن ابن عمر .

وقد اختلف فى مؤمنى الجن هل يدخلون الجنة أو يكون جزاء طائعهم أن لايعذب بالنار فقط على قولين والصحيح أنهم يدخلون الجنة لعموم القرآن . ولعموم قوله تعالى :

﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ (٤٦) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٧) ﴾
[سورة الرحمن : الآية ٤٦ ـ ٤٧]

فأثنى تعالى عليهم بذلك فلولا أنهم ينالوه لما ذكره وعده عليهم من النعم .

وقال البخارى حدثنا قتيبة عن مالك عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى صعصعة عن أبيه أن أبا سعيد الخدرى قال له : إنى أراك تحب الغنم والبادية فإذا كنت فى غنمك وباديتك فأذنت بالصلاة فارفع صوتك بالنداء فإنه لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولاشئ إلا شهد له يوم القيامة . قال أبو سعيد سمعته من رسول الله ﷺ . انفرد به البخارى دون مسلم .

وأما كافروا الجن فمنهم الشياطين ومقدمهم الأكبر إبليس عدو آدم إلى

البشر وقد سلطه هو وذريته على آدم وذريته . وتكفل الله عز وجل بعصمة من آمن به وصدق رسله واتبع شرعه منهم . كما قال

﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلاً (٦٥) ﴾ [سورة الإسراء : الآية ٦٥]

وقال تعالى :

﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلاَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢٠) وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ (٢١) ﴾ [سورة سبأ : الآية ٢٠ - ٢١]

وقال تعالى :

﴿ يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ (٢٧) ﴾ [الأعراف : الآية ٢٧]

وقال تعالى :

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (٢٨) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٢٩) فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٣٠) إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣١) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلاَّ تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣٢) قَالَ لَمْ أَكُن لأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (٣٣) قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٣٤) وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ (٣٥) قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٣٦) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ (٣٧) إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (٣٨) قَالَ رَبِّ بِمَا

أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٤٠) قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ (٤١) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ (٤٢) وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ (٤٣) لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ (٤٤) ﴾[سورة الحجر: الآية ٢٨ ـ ٤٤]

وذكر الله تعالى هذه القصة فى سورة البقرة والأعراف والإسراء وطه وسورة ص ، وأنظره الله تعالى أى أمهله إلى يوم القيامة محنة لعباده واختباراً منه لهم لما قال تعالى :

﴿ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ (٢١) ﴾ [سورة سبأ : الآية : ٢١]

وقال تعالى :

﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٢) وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ (٢٣) ﴾ [سورة إبراهيم : الآية : ٢٢ ـ ٢٣]

عرش إبليس

فإبليس لعنه الله حى منظر إلى يوم القيامة بنص القرآن ، وله عرش على وجه البحر وهو جالس عليه ويبعث سراياه يلقون بين الناس الشر والفتن ، وقد قال تعالى :

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا (٧٦) ﴾ [سورة النساء : الآية ٧٦]

وعرش إبليس على البحر كما روى الإمام أحمد حدثنا أبو المغيرة حدثنا صفوان حدثنى معاذ التميمى عن جابر عبد الله قال قال رسول الله ﷺ : عرش إبليس فى البحر يبعث سراياه فى كل يوم يفتنون الناس فأعظمهم عنده منزله أعظمهم فتنة للناس ، وقال أحمد حدثنا نوفل حدثنا حماد حدثنا على بن زيد عن أبى نضرة عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ لابن صائد : ما ترى قال أرى عرشاً على الماء أو على البحر حوله حيات . قال ﷺ : ذاك عرش إبليس . هكذا رواه فى مسند جابر.

عبدة الشيطان

روى الإمام أحمد عن طريق معاذ التميمى وأبى الزبير عن جابر عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : إن الشيطان قد يئس أن يعبده المصلون ولكن فى التحريش بينهم .

قلت : للمحقق :

ظهر فى الأيام شباب وفتيات يعبدون الشيطان وكتبت أبحاث فى هذا

الموضوع وعلى رأس من كتب عن عباد الشيطان الكاتب المؤرخ جمال بدوى وأثبت أن عبادة الشيطان ترجع إلى سنوات طويلة وأن طائفة من اليهود يعبدون الشيطان . وقد ضبطت فرقة ضالة من الشباب فى قصر البارون امبان بمصر الجديدة يمارسون طقوس عبادة الشيطان وظهرت بعض أسرار هذه الطقوس التى منها أنهم يرسمون الوشم فى أعلى الذراع بشكل معين وأنهم يلبسون الملابس السوداء ويذبحون القطط ويسمعون الموسيقى الصاخبة ويرقصون ويمارسون الجنس الجماعى وأنهم يعتقدون أن إبليس مظلوم وأنه شجاع لاعتراضه على الله تعالى وامتناعه عن السجود لآدم . تعالى الله عما يقولون ، وهل الكبر والعجب ومعصية الله تعتبر شجاعة أو بطولة أم هى تهور وخسة وكفر صراح ؟ أهـ.

روى الإمام مسلم من حديث الأعمش عن أبى سفيان طلحة بن نافع عن جابر عن النبى ﷺ قال : إن الشيطان يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه فى الناس فأقربهم عنده منزلة أعظمهم عنده فتنة ، يجئ أحدهم فيقول مازالت بفلان حتى تركته وهو يقول كذا وكذا . فيقول إبليس لا والله ماصنعت شيئا . ويجئ أحدهم فيقول ما تركته حتى فرقت بينه وبين أهله . قال فيقربه ويدنيه ويقول نعم أنت .

وفى صحيح البخارى عن صفية بنت حسين أن رسول الله ﷺ قال : إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم .

وسوسة الشيطان

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلى حدثنا محمد بن جبير حدثنا عدى بن أبى عمارة حدثنا زياد النميرى عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : إن الشيطان

واضع خطمه (أنفه) على قلب ابن آدم فإن ذكر الله خنس (تأخر) وإن نسى التقم قلبه فذاك الوسواس الخناس ، ولما كان ذكر الله مطرده للشيطان عن القلب كان فيه تذكار للناس كما قال تعالى :

﴿ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا (٢٤) ﴾ [سورة الكهف : الآية ٢٤]

وقال صاحب موسى : قال تعالى :

﴿ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا (٦٣) ﴾ [سورة الكهف : الآية ٦٣]

وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ (٤٢) ﴾ [سورة يوسف: الآية ٤٢]

وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عاصم سمعت أبا تميمة يحدث عن رديف رسول الله ﷺ قال عثر بالنبى ﷺ حماره فقلت تعس الشيطان فقال النبى ﷺ : لا تقل تعس الشيطان فإنك إذا قلت تعس الشيطان تعاظم ، وقال بقوتي صرعته وإذا قلت بسم الله تصاغر حتى يصير مثل الذباب . تفرد به أحمد وهو إسناد جيد .

وقال أحمد حدثنا أبو بكر الحنفى حدثنا الضحاك بن عثمان عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : إن أحدكم إذا كان فى المسجد جاء الشيطان فأيس (استقل) به كما يئس الرجل الرجل بدابته فإذا سكن له زنقة أو الجمة (ضيق عليه) قال أبو هريرة وأنتم ترون ذلك. أما المزنوق

فتراه مائلا كذا لا يذكر الله، وأما الملجم ففاتح فاه لا يذكر الله عز وجل، تفرد به أحمد.

وقال أحمد أيضا حدثنا وكيع عن سفيان بن منصور عن ذر بن عبد الله الهدانى عن عبد الله بن شداد عن ابن عباس قال : جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال يارسول الله إنى أحدث نفسى بالشئ لأن أخر من السماء أحب إلى من أن أتكلم به فقال النبى ﷺ : الله أكبر الحمد لله الذى رد كيده إلى الوسوسة ، ورواه أبو داود والنسائى عن حديث منصور زاد النسائى والأعمش كلاهما عن أبى ذر به ، (أى بهذا الاسناد) .

وقال البخارى حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب قال أخبرنى عروة قال : قال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ : يأتى الشيطان أحدكم فيقول من خلق كذا من خلق كذا حتى يقول من خلق ربك فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته .

وهكذا رواه مسلم من حديث الليث ومن حديث الزهرى هشام بن عروة وكلاهما عن عروة به ، وقد قال الله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ (٢٠١) ﴾ [سورة الأعراف: الآية ٢٠١]

وقال تعالى : ﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ (٩٧) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ (٩٨) ﴾ [سورة المؤمنون: الآية ٩٧-٩٨]

وقال تعالى : ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٠٠) ﴾ [سورة الأعراف : الآية ٢٠٠]

وقال تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٩٨) إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٩٩) إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ (١٠٠) ﴾ [سورة النحل : الآية ٩٨ - ١٠٠]

وروى الإمام أحمد وأهل السنن من حديث أبى المتوكل عن أبى سعيد قال : كان رسول الله ﷺ يقول : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه . (فهمزه الموتة وهو الخنق الذى هو الصرع، ونفخه : الكبر ، ونفثه : الشعر).

وثبت فى الصحيحين عن أنس أن رسول الله ﷺ كان إذا دخل الخلاء قال : أعوذ بالله من الخبث والخبائث. (ذكر أن الشياطين وإناثهم) .

وقال أحمد حدثنا محمد بن عبيد حدثنا عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عوان أن رسول الله ﷺ قال: لا يأكل أحدكم بشماله ولا يشرب بشماله فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله وهذا على شرط الصحيحين بهذا الاسناد وهو فى الصحيح من غير هذا الوجه .

الشيطان يأكل ويشرب بشماله

وروى الإمام أحمد من حديث إسماعيل بن أبى حكيم عن عروة عن عائشة عن رسول الله ﷺ أنه قال : من أكل بشماله أكل معه الشيطان ومن شرب بشماله شرب معه الشيطان.

وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر أنبأنا شعبة عن أبى زياد الطحان سمعت أبا هريرة يقول عن النبى ﷺ أنه رأى رجلا يشرب قائما فقال

له (قه) قال لم . قال : أيسرك أن يشرب معك الهر ، قال لا . قال : فإنه قد شرب معك من هو شر منه الشيطان . تفرد به أحمد من هذا الوجه . وقال أيضاً : حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهرى عن رجل عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ: "لويعلم الذى يشرب وهو قائم ما فى بطنه لاستقاء".

ذكر الله عند دخول البيت

وقال الإمام أحمد حدثنا موسى حدثنا ابن لهيعة عن ابن الزبير أنه سأل جابر سمعت النبى ﷺ قال : "إذا دخل الرجل بيته فذكر اسم الله حين يدخل وحين يطعم قال الشيطان لا مبيت لكم ولا عشاء ههنا . وإن دخل ولم يذكر اسم الله عند دخوله قال أدركتم المبيت ، وإن لم يذكر اسم الله عند طعامه قال : أدركتم المبيت والعشاء.

الشمس تطلع بين قرنى شيطان

قال البخارى : حدثنا محمد حدثنا عبيدة حدثنا محمد عن هشام بن عروة عن أبيه عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : "إذا طلع حاجب الشمس فدعوا الصلاة حتى يبرز وإذا غاب حاجب الشمس فدعوا الصلاة حتى يغيب ولا تحينوا بصلاتكم طلوع الشمس ولا غروبها فإنها تطلع بين قرنى الشيطان أو (الشياطين) لا أدرى أى ذلك قال هشام . ورواه مسلم والنسائى من حديث هشام به .

الشيطان يجلس بين الشمس والظل

وفى السنن أن رسول الله ﷺ نهى أن يجلس بين الشمس والظل وقال : إنه يجلس الشيطان هكذا رواه البخارى منفردا به من هذا الوجه .

الشياطين تنتشر فى جنح الليل

وقال البخارى : حدثنا يحيى بن جعفر حدثنا محمد بن عبد الله الأنصارى حدثنا ابن جريج أخبرنى عطاء عن جابر عن النبى ﷺ قال : إذا (استجنح) أو (كان جنح الليل فكفوا صبيانكم فإن الشياطين تنتشر حينئذ فإذا ذهب ساعة من العشاء فخلوهم وأغلق بابك واذكر اسم الله وأطفئ مصباحك وأذكر اسم الله وأوك (تعنى كل ما شد رأسه من وعاء وغيرها) سقاءك واذكر اسم الله وخمر (غطِ) إناءك واذكر اسم الله ولو تعرض عليه شيئاً .

ورواه أحمد عن يحيى عن ابن جريج وعنده فإن الشيطان لا يفتح مغلقا.

وقال الإمام أحمد حدثنا وكيع عن أبى الزبير عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: أغلقوا أبوابكم وخمروا آنيتكم وأوكوا أسقيتكم وأطفئوا سرجكم فإن الشيطان لا يفتح بابا مغلقاً ولا يكشف غطاء ولا يحل وكاء وأن الفويسقة (الفأرة) تضرم البيت على أهله نارا.

الشيطان يحضر الجماع

وقال البخارى : حدثنا آدم حدثنا شعبة عن منصور عن سالم بن أبى الجعد عن كريب عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتى أهله قال اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان مارزقتنى فإن كان بينهما ولد لم يضره الشيطان ولم يسلط عليه .

الشيطان يعقد عقدا على القافية

وقال البخارى حدثنا إسماعيل حدثنا أخى عن سليمان عن يحيى ابن سعيد عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: يعقد

الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد الضرب على كل عقدة مكانها ـ عليك ليل طويل فارقد ـ فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة، فإن توضأ إنحلت عقده فإن صلى إنحلت عقده كلها فأصبح نشيطا طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان، هكذا رواه منفرداً به .

الشيطان يبيت على الخيشوم

وقال البخارى : حدثنا إبراهيم عن حمزة حدثنى ابن حازم عن يزيد يعنى ابن الهادى محمد بن إبراهيم عن عيسى بن طلحة عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : إذا استيقظ أحدكم من منامه يتوضأ فليستنثر ثلاثا فإن الشيطان يبيت على خيشومه ، رواه مسلم عن بشر بن الحكم عن الدراوردى والنسائى عن محمد بن زنبور عن عبد العزيز بن أبى حازم كلاهما عن يزيد بن الهادى به .

الشيطان يبول فى الأذن

وقال البخارى حدثنا عثمان بن أبى شيبة حدثنا جرير عن منصور عن أبى وائل عن عبد الله قال : ذكر عند النبى ﷺ رجل نام ليلة ثم أصبح قال ذلك رجل بال الشيطان فى أذنيه . أو قال (فى أذنه) .

ذكر قصة ابنى آدم : قابيل وهابيل

قال الله تعالى : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٢٧) لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (٢٨) إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (٢٩) فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ

فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٣٠) فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَىٰ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ (٣١) ﴾ [سورة المائدة].

ولنذكرها ملخص ما ذكره أئمة السلف فى ذلك.

فذكر السدى عن أبى مالك وأبى صالح، عن ابن عباس، وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة، أن آدم كان يزوج ذكر كل بطن بأنثى الآخر وأن هابيل أراد أن يتزوج بأخت قابيل. وكان أكبر من هابيل وأخت قابيل أحسن، فأراد قابيل أن يستأثر بها على أخيه، وأمره آدم عليه السلام أن يزوجه إياها فأبى، فأمرهما أن يقربا قربانا، وذهب آدم ليحج إلى مكة، واستحفظ السموات على بنيه فأبين، والأرضين والجبال فأبين، فتقبل قابيل بحفظ ذلك.

فلما ذهب قربا قربانهما، فقرب هابيل جذعة سمينة، وكان صاحب غنم، وقرب قابيل حزمة من زرع من ردىء زرعه، فنزلت نار فأكلت قربان هابيل وتركت قربان قابيل، فغضب وقال لأقتلنك حتى لا تنكح أختى، فقال : إنما يتقبل الله من المتقين.

وروى عن ابن عباس من وجوده آخر، وعن عبد الله بن عمرو. وقال عبد الله بن عمرو وايم الله أن كان المقتول لأشد الرجلين، ولكن منعه التحرج أن يبسط إليه يده!.

وذكر أبو جعفر الباقر: أن آدم كان مباشرا لتقريبهما القربان والتقبيل من هابيل دون قابيل، فقال قابيل لآدم: إنما تقبل منك لأنك دعوت له ولم تدع لى، وتوعد أخاه فيما بينه وبينه.

فلما كان ذات ليلة أبطأ هابيل فى الرعى، فبعث آدم أخاه قابيل لينظر ما

أبطأ به، فلما ذهب إذ هو به فقال له: تقبل منك ولم يتقبل منى. فقال :إنما يتقبل الله من المتقين. فغضب قابيل عندها وضربه بحديدة كانت معه فقتله. وقيل : إنه إنما قتله بصخرة رماها على رأسه وهو نائم فشدخته. وقيل : بل خنقه خنقا شديدا وعضه كما تفعل السباع ، فمات والله أعلم.

وقوله له لما توعده بالقتل: ﴿ لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (٢٨) ﴾ [سورة المائدة]، دل على خلق حسن، وخوف من الله تعالى وخشية منه، وتورع أن يقابل أخاه بالسوء الذى أراد منه أخوه مثله.

ولهذا ثبت فى الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال : «إذا تواجه المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار. قالوا يارسول الله هذا القاتل، فما بال المقتول. قال : إنه كان حريصا على قتل صاحبه».

وقوله : «إنى أريد أن تبوء بإثمى وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين» أى إنى أريد ترك مقاتلتك وإن كنت أشد منك وأقوى، إذ قد عزمت على ماعزمت عليه أن تبوء بإثمى وإثمك ، أى تتحمل إثم قتلى مع مالك من الأثام المتقدمة قبل ذلك، قاله مجاهد والسدى وابن جرير وغير واحد.

وليس المراد أن أثام المقتول تتحول بمجرد قتله إلي القاتل كما قد توهم بعض الناس، فإن ابن جرير حكى الإجماع على خلاف ذلك.

أما الحديث الذى يورده بعض من لايعلم عن النبى ﷺ أنه قال : «ماترك القاتل على المقتول من ذنب» فلا أصل له، ولايعرف فى شىء من كتب الحديث بسند صحيح ولا حسن ولا ضعيف أيضا.

ولكن قد يتفق فى بعض الأشخاص يوم القيامة، أن يطالب المقتول القاتل

فتكون حسنات القاتل لاتفى بهذه المظلمة فتحول من سيئات المقتول إلى القاتل، كما ثبت به الحديث الصحيح فى سائر المظالم، والقتل من أعظمها والله أعلم .

وقد روى الإمام أحمد وأبو داود والترمذى، عن سعد بن أبى وقاص، أنه قال عند فتنة عثمان بن عفان: أن رسول الله ﷺ قال : «إنها ستكون فتنة، القاعد فيها خير من القائم، والقائم خير من الماشى، والماشى خير من الساعى».

قال أفرأيت إن دخل على بيتى فبسط يده إلى ليقتلنى.

قال : «كن كابن آدم».

ورواه ابن مردويه عن حذيفة بن اليمان مرفوعا، قال : كن كخير ابنى آدم. وروى مسلم وأهل السنن إلا النسائى عن أبى ذر نحو هذا .

وأما الآخر فقال قال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية ووكيع ، قالا : قال حدثنا الأعمش عن عبد الله بن مرة، عن مسروق، عن ابن مسعود ، قال رسول الله ﷺ: «ولا تقتل نفس ظلما إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها، لأنه كان أول من سن القتل».

ورواه الجماعة سوى أبى داود من حديث الأعمش به. وهكذا روى عن عبدالله ابن عمرو بن العاص وإبراهيم النخعى أنهما قالا مثل هذا سواء.

وبجبل قاسيون شمالى دمشق مغارة يقال لها مغارة الدم، مشهورة بأنها المكان الذى قتل قابيل أخاه هابيل عندها، وذاك مما تلقوه عن أهل الكتاب فالله أعلم بصحة ذلك.

وقد ذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة أحمد بن كثير- وقال إنه كان من الصالحين - أنه رأى النبى ﷺ وأبا بكر وعمر وهابيل، وأنه استحلف هابيل أن هذا دمه فحلف له، وذكر أنه سأل الله تعالى أن يجعل هذا المكان يستجاب عنده

الدعاء، فأجابه إلى ذلك ، وصدقه فى ذلك رسول الله ﷺ وقال: أنه وأبا بكر وعمر يزورون هذا المكان فى كل يوم خميس.

وهذا منام لو صح عن أحمد بن كثير هذا، لم يترتب عليه حكم شرعى. والله أعلم.

وقوله تعالى :

﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَىٰ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ (٣١) ﴾

ذكر بعضهم أنه لما قتله حمله على ظهره سنة، وقال آخرون حمله مائة سنة! ولم يزل كذلك حتى بعث الله غرابين. قال السدى بإسناده عن الصحابة: أخوين، فتقاتلا فقتل أحدهما الآخر، فلما قتله عمد إلي الأرض يحفر له فيها ثم ألقاه ودفنه وواراه، فلما رآه يصنع ذلك «قال : ياويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوأة أخي» ففعل مثل ما فعل الغراب فواراه ودفنه.

وذكر أهل التواريخ والسير أن آدم حزن على ابنه هابيل حزنا شديدا، وأنه قال في ذلك شعرا، وهو قوله فيما ذكره ابن جرير عن ابن حميد :

تغيرت البلاد ومن عليها فوجه الأرض مغبر قبيح

تغير كل ذى لون وطعم وقل بشاشة الوجه المليح

فأجيب آدم :

أبا قابيل قد قتلا جميعا وصار الحى كالميت الذبيح

وجاء بشرة قد كان منها على خوف لجاء بها يصيح

وهذا الشعر فيه نظر. وقد يكون آدم عليه السلام قال كلاما تحزن به بلغته، فألفه بعضهم إلي هذا، وفيه أقوال والله أعلم.

وقد ذكر مجاهد أن قابيل عوجل بالعقوبة يوم قتل أخاه، فعلقت ساقه إلى فخذه، وجعل وجهه إلى الشمس كيفما دارت، تنكيلا به وتعجيلا لذنبه وبغيه وحسده لأخيه لأبويه.

وقد جاء فى الحديث عن رسول الله أنه قال : «ما من ذنب أجدر أن يعجل الله عقوبته فى الدنيا مع مايدخر لصاحبه فى الآخرة من البغى وقطيعة الرحم».

والذى رأيته فى الكتاب الذى بأيدى أهل الكتاب الذين يزعمون أنه التوراة: أن الله عز وجل أجله وأنظره، وأنه سكن فى أرض «نود» في شرقي عدن وهم يسمونه قنين. وأنه ولد له خنوخ، ولخنوخ عندر، ولعندر محوايل، ولمحوايل متوشيل، ولمتوشيل لأمك. وتزوج هذا امرأتين: عدا وصلا. فولدت «عدا» ولدا اسمه ابل، وهو أول من سكن القباب واقتنى المال. وولدت أيضا نوبل، وهو أول من أخذ فى ضرب الونج والصنج. وولدت «صلا» ولدا اسمه توبلقين، وهو أول من صنع النحاس والحديد، وبنتا اسمها «نعمى».

وفيها أيضا أن آدم طاف على امرأته فولدت غلاما ودعت اسمه «شيث» وقالت من أجل أنه قد وهب لي خلفا من هابيل الذي قتله قابيل. وولد لشيث أنوش.

قالوا: وكان عمر آدم يوم ولد له شيث مائة وثلاثين سنة، وعاش بعد ذلك ثمانمائة سنة.

وكان عمر شيث يوم ولد له أنوش مائة وخمسا وستين سنة، وعاش بعد ذلك ثمانمائة سنة وسبع سنين. وولد له بنون وبنات غير أنوش.

فولد لأنوش «قينان» وله من العمر تسعون سنة، وعاش بعد ذلك ثمانمائة سنة وخمس عشرة سنة، وولد له بنون وبنات.

فلما كان عمر قينان سبعين سنة ولد له مهلاييل، وعاش بعد ذلك ثمانمائة سنة وأربعين سنة، وولد له بنون وبنات. فلما كان لمهاييل سن العمر خمس وستون سنة ولد له «يرد» وعاش بعد ذلك ثمانمائة وثلاثين سنة وولد له بنون وبنات.

فلما كان ليرد مائة سنة واثنتان وستون سنة ولد له «خنوخ» وعاش بعد ذلك ثمانمائة سنة وولد له بنون وبنات.

فلما كان لخنوخ خمس وستون سنة ولد له متوشلخ، وعاش بعد ذلك ثمانمائة سنة وولد له بنون وبنات. فلما كان لمتوشلخ مائة وسبع وثمانون سنة ولد له «لامك» وعاش بعد ذلك سبعمائة واثنتين وثمانماين سنة وولد له بنون وبنات.

فلما كان للامك من العمر مائة واثنتان وثمانون سنة ولد له «نوح» وعاش بعد ذلك خمسمائة وخمسا وتسعين سنة، وولد له بنون وبنات. فلما كان لنوح خمسمائة سنة ولد له بنون : سام وحام ويافث.

هذا مضمون مافى كتابهم صريحا.

وفى كون التواريخ محفوظة فيما نزل من السماء نظر، كما ذكره غير واحد من العلماء طاعنين عليهم فى ذلك. والظاهر أنها مقحمة فيها، ذكرها بعضهم على سبيل الزيادة. والتفسير وفيها غلط كثير كما سنذكره فى مواضعه إن شاء الله تعالى.

قد ذكر الإمام أبو جعفر بن جرير فى تاريخه عن بعضهم :أن حواء ولدت لآدم أربعين ولدا فى عشرين بطنا . قاله ابن إسحاق وسماهم والله تعالى أعلم.

ويل مائة وعشرين بطنا فى كل واحد ذكر وأنثى ، وأولهم قابيل، وأخته قليما، وأخرجهم عبد المغيث وأخته أم المغيث.

ثم انتشر الناس بعد ذلك وكثروا، وامتدوا فى الأرض ونموا، كما قال الله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١) ﴾ [سورة النساء]

وقد ذكر أهل التاريخ أن آدم عليه السلام لم يمت حتى رأى من ذريته من أولاده وأولاد أولاده أربعمائة ألف نسمة، والله أعلم.

وقال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (١٨٩) ﴾ [سورة الأعراف].

الآيات فهذا تنبيه أولا بذكر آدم، ثم استطرد إلي الجنس. وليس المراد بهذا ذكر آدم وحواء، بل لما جرى ذكر الشخص استطرد إلى الجنس كما فى قوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (١٣) ﴾ [سورة المؤمنون].

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ (٥) ﴾ [سورة الملك].

ومعلوم أن رجوم الشياطين ليست هى أعيان مصابيح السماء، وإنما

استطرد من شخصها إلى جنسها.

فأما الحديث الذى رواه الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد، حدثنا عمر بن إبراهيم، حدثنا قتادة عن الحسن، عن سمرة، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «لما ولدت حواء طاف بها إبليس وكان لايعيش لها ولد، فقال سميه عبد الحارث فإنه يعيش، فسمته عبد الحارث فعاش، وكان ذلك من وحى الشيطان وأمره».

وهكذا رواه الترمذى وابن جرير وابن أبى حاتم وابن مردويه فى تفاسيرهم عند هذه الآية وأخرجه الحاكم فى مستدركه ، كلهم من حديث عبد الصمد بن عبد الوارث به ، فقال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الترمذى حسن غريب لانعرفه إلا من حديث عمر بن إبراهيم ، ورواه بعضهم عن عبد الصمد ولم يرفعه.

فهذه علة قادحة فى الحديث أنه روى موقوفا على الصحابى وهذا أشبه والظاهر أنه تلقاه من الإسرائيليات وهكذا روى موقوفا عن ابن عباس. والظاهر أن هذا متلقى عن كعب الأحبار وذويه والله أعلم.

وقد فسر الحسن البصرى هذه الآيات بخلاف هذا، فلو كان عنده عن سمرة مرفوعا لما عدل عنه إلي غيره. والله أعلم.

وأيضا فالله تعالى إنما خلق آدم وحواء ليكونا أصل البشر، وليبث منهما رجالا كثيرا ونساء، فكيف كانت حواء لايعيش لها ولد ذكر فى هذا الحديث إن كان محفوظا ؟!

والمظنون بل المقطوع به أن رفعه إلي النبى صلى الله عليه وسلم خطأ، والصواب وقفه والله أعلم. وقد حررنا هذا فى كتابنا التفسير ولله الحمد.

ثم قد كان آدم وحواء أتقى لله مما ذكر عنهما فى هذا، فأن آدم أبو البشر الذى خلقه الله بيده، ونفخ من روحه، وأسجد له ملائكته، وعلمه أسماء كل شيء وأسكنه جنته.

وقد روى ابن حبان فى صحيحه عن أبى ذر قال: قلت: يارسول الله كم الأنبياء؟ قال: «مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا» قلت: يارسول الله كم الرسل منهم؟ قال: «ثلاثمائة وثلاثة عشر: جم غفير» قلت يارسول الله من كان أولهم؟ قال: آدم. قلت: يارسول الله نبى مرسل؟ قال: «نعم خلقه الله بيده ثم نفخ فيه من روحه ثم سواه قبلا».

وقال الطبرانى: حدثنا إبراهيم بن نائلة الأصبهانى، حدثنا شيبان بن فروخ، حدثنا نافع ابن هرمز، عن عطاء بن رباح، عن ابن عباس قال: قال رسول الله عليه وسلم: «ألا أخبركم بأفضل الملائكة: جبريل، وأفضل النبيين آدم، وأفضل الأيام يوم الجمعة، وأفضل الشهور شهر رمضان، وأفضل الليالى ليلة القدر، وأفضل النساء مريم بنت عمران».

وهذا إسناد ضعيف، فإن نافعا أبا هرمز كذبه ابن معين وضعفه أحمد وأبو زرعة وأبو حاتم وابن حبان وغيرهم والله أعلم.

وقال كعب الأحبار: ليس أحد فى الجنة له لحية إلا آدم لحيته سوداء إلى سرته. وليس أحد يكنى فى الجنة إلا آدم، كنيته فى الدنيا أبو البشر وفى الجنة أبو محمد.

وقد روى ابن عدي من طريق شيخ ابن أبى خالد، عن حماد بن سلمة، عن عمرو بن دينار، عن جابر بن عبد الله مرفوعا: أهل الجنة يدعون بأسمائهم إلا آدم فإنه يكنى أبا محمد.

ورواه ابن عدى أيضا من حديث علي بن أبي طالب وهو ضعيف من كل وجه. والله أعلم.

وفى حديث الإسراء الذى فى الصحيحين، أن رسول الله ﷺ لما مر بآدم وهو فى السماء الدنيا، قال له مرحبا بالإبن الصالح والنبى الصالح، قال : وإذا عن يمينه أسودة وعن يساره أسودة، فإذا نظر عن يمينه ضحك، وإذا نظر عن شماله بكى، فقال ياجبريل ماهذا؟ قال هذا آدم وهؤلاء نسم بنيه، فإذا نظر قبل أهل اليمين– وهم أهل الجنة – ضحك، وإذا نظر قبل أهل الشمال– وهم أهلى النار– بكى. وهذا معنى الحديث.

وقال أبو أبو بكر البزار : حدثنا محمد بن المثنى، حدثنى يزيد بن هارون، أنبأنا هشام بن حسان عن الحسن قال : كان عقل آدم مثل عقل جميع ولده.

وقال بعض العلماء فى قوله صلي الله عليه وسلم: «فمررت بيوسف وإذ هو قد أعطي شطر الحسن» قالوا: معناه أنه كان على النصف من حسن آدم عليه السلام وهذا مناسب. فإن الله خلق آدم وصوره بيده الكريمة، ونفخ من روحه، فما كان ليخلق إلا أحسن الأشياء.

وقد روينا عن عبد الله بن عمر وابن عمر أيضا موقوفا ومرفوعا: أن الله تعالى لما خلق الجنة، قالت الملائكة: ياربنا اجعل لنا هذه ، فإنك خلقت لبنى آدم الدنيا يأكلون فيها ويشربون، فقال الله تعالى : وعزتى وجلالى لا أجعل صالح ذرية من خلقت بيدى كمن قلت له كن فكان.

وقد ورد الحديث المروى فى الصحيحين وغيرهما من طرق: أن رسول الله ﷺ قال :«إن الله خلق آدم على صورته» وقد تكلم العلماء على هذا الحديث فذكروا فيه مسالك كثيرة ليس هذا موضع بسطها. والله أعلم.

ذكر وفاة آدم وو صيته إلى

ابنه شيث عليه السلام

ومعنى شيث : هبة الله، وسمياه بذلك لأنهما رزقاه بعد أن قتل هابيل.

قال أبو ذر في حديثه عن رسول الله ﷺ :«إن الله أنزل مائة صحيفة وأربع صحف، على شيث خمسين صحيفة».

قال محمد بن إسحاق: ولما حضرت آدم الوفاة عهد إلي ابنه شيث وعلمه ساعات الليل والنهار، وعلمه عبادات تلك الساعات، وأعلمه بوقوع الطوفان بعد ذلك.

قال : ويقال إن أنساب بنى آدم اليوم كلها تنتهى إلى شيث وسائر أولاد آدم غيره انقرضوا وبادوا . والله أعلم.

ولما توفى آدم عليه السلام – وكان ذلك يوم الجمعة– جاءته الملائكة بحنوط وكفن– من عند الله عز وجل– من الجنة، وعزوا فيه ابنه ووصيه شيثا عليه السلام. قال ابن إسحاق : وكسفت الشمس والقمر سبعة أيام بلياليهن.

وقد قال عبد الله ابن الإمام أحمد: حدثنا هدبة بن خالد، حدثنا حماد بن سلمة، عن حميد، عن الحسن، عن يحيى – هو ابن ضمرة السعدي – قال : رأيت شيخا بالمدينة يتكلم فسألت عنه فقالوا هذا أبى بن كعب ، فقال إن آدم لما حضره الموت قال لبنيه: أى بنى ! إنى أشتهى من ثمار الجنة.

قال : فذهبوا يطلبون له، فاستقبلتهم الملائكة ومعهم أكفانه وحنوطه، ومعهم الفؤوس والمساحى والمكاتل، فقالوا لهم : يابنى آدم ما تريدون وما تطلبون؟ أو ماتريدون؟ وأين تطلبون ؟ قالوا : أبونا مريض واشتهى من ثمار الجنة ، فقالوا

لهم : ارجعوا فقد قضى أبوكم . فجاءوا فلما رأتهم حواء عرفتهم فلاذت بآدم ، فقال : إليك عنى إنى إنما أتيت من قبلك، فخلى بينى وبين ملائكة ربى عز وجل. فقبضوه وغسلوه وكفنوه وحنطوه ، وحفروا له ولحدوه وصلوا عليه ثم أدخلوه قبره فوضعوه فى قبره ، ثم حثوا عليه، ثم قالوا : يا بنى آدم هذه سنتكم . إسناد صحيح إليه.

وروى ابن عساكر من طريق شيبان بن فروخ، عن محمد بن زياد، عن ميمون بن مهران، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال : «كبرت الملائكة على آدم أربعا، وكبر أبو بكر على فاطمة أربعا، وكبر عمر على أبى بكر أربعا، وكبر صهيب على عمر أربعا».

قال ابن عساكر: ورواه غيره عن ميمون فقال عن ابن عمر.

واختلفوا فى موضع دفنه. فالمشهور أنه دفن عند الجبل الذى أهبط فيه فى الهند، وقيل بجبل أبى قبيس بمكة. ويقال إن نوحا عليه السلام لما كان زمن الطوفان حمله هو وحواء فى تابوت، فدفنهما فى بيت المقدس. حكى ذلك ابن جرير.

وروى ابن عساكر عن بعضهم أنه قال : رأسه عند مسجد إبراهيم ورجلاه عند صخرة بيت المقدس. وقد ماتت بعده حواء بسنة واحدة.

واختلف في مقدار عمره عليه السلام: فقدمنا فى الحديث عن ابن عباس وأبى هريرة مرفوعا: أن عمره اكتتب فى اللوح المحفوظ ألف سنة.

وهذا لايعارضه ما فى التوراة من أنه عاش تسعمائة وثلاثين سنة، لأن قولهم هذا مطعون فيه مردود، إذ خالف الحق الذي بأيدينا مما هو المحفوظ عن المعصوم.

وأيضا فإن قولهم هذا يمكن الجمع بينه وبين ما فى الحديث، فإن ما فى التوراة إن كان محفوظا- محمول على مدة مقامه في الأرض بعد الإهباط، وذلك تسعمائة سنة وثلاثون سنة شمسية،وهى بالقمرية تسعمائة وسبع وخمسون سنة، ويضاف إلى ذلك ثلاث وأربعون سنة شمسية، وهى بالقمرية تسعمائة وسبع وخمسون سنة، ويضاف إلى ذلك ثلاث وأربعون سنة مدة مقامه فى الجنة قبل الاهباط على ماذكره ابن جرير وغيره، فيكون الجميع ألف سنة.

وقال عطاء الخرساني : لما مات آدم بكت الخلائق عليه سبع أيام، رواه ابن عساكر.

فلما مات آدم عليه السلام قام بإعباء الأمر بعده ولده شيث عليه السلام وكان نبيا بنص الحديث الذى رواه ابن حبان فى صحيحه، عن أبى ذر مرفوعا أنه أنزل عليه خمسون صحيفة.

فلما حانت وفاته أوصى إلى ابنه أنوش فقام بالأمر بعده، ثم بعده ولده قينن ثم من بعده ابنه مهلاييل- وهو الذى يزعم الأعاجم من الفرس أنه ملك الأقاليم السبعة، وأنه أول من قطع الأشجار، وبنى المدائن والحصون الكبار. وأنه هو الذي بنى مدينة بابل ومدينة السوس الأقصى. وأنه قهر إبليس وجنوده وشردهم عن الأرض إلى أطرافها وشعاب جبالها وأنه قتل خلقا من مردة الجن والغيلان، وكان له تاج عظيم، وكان يخطب الناس ودامت دولته أربعين سنة.

فلما مات قام بالأمر بعده ولده (يرد) فلما حضرته الوفاة أوصى ولده (خنوخ)، وهو إدريس عليه السلام على المشهور.

الفهرس

تابع الفهرس

تابع الفهرس